السلسلة الثقافية

هاني أحمد الدرديري

المدخل للثقافة العسكرية





المدخل للثقافة العسكرية

المدخل

للثقافة العسكرية

هانىء أحمد الدرديرى



المركز العربي
للثقافة والعلوم

طباعة . نشر . توزيع

ص. ب: ٥٧٣٩ ـ ١٣ بيروت ـ لبنان

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالحِكْمَةَ وَعَلَمَهُ مِما يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْض لَفَسَدتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ ﴾.

البقرة/ ٢٥١

تقديم

اختيار الموضوع ومنهج البحث

يعود الفضل في التفكير في هذا الموضوع الى الجهد المشكور الذي تبذلـه المؤسسـات الثقـافية والفكـرية العـربية بفروعها المختلفة لدى أبناء الأمة العربية، فقد استلفت نظري هذا الجهد، ورجوت لو احتلت الثقافة العسكرية العامة قدراً منه، خصوصاً وان المكتبة الثقافية على غزارة إنتاجها لـم تشتمـل الا على قدر ضئيل من كتب الثقافة العسكرية، وعلى الرغم من اننا جميعاً في حاجة الى قدر من الثقافة العسكرية يتيح لنا تتبع الاحداث العسكرية الجسـام التي تميز بها قرننا الحالي، والتي كان نصيبنا منها غير قليل.

وليس من غرضنا في هذه الصفحات أن نعرض للتاريخ العسكري، أو نعرض للعلوم العسكرية كما يفهمها ـ أو يجب أن يفهمها ـ العسكريون والحرفيون، فحسبنا هنا ـ ونحن في مجال الأخذ من كل فن بطرف ـ أن نعرض للأصول العامة للأنواع المختلفة من الحروب، سواء أكانت هذه الحروب تقليدية أم حرب عصابات أم حروب نووية

وسيمر بنا في حينه أن الأصول العامة بالنسبة لحروب التقليدية وحروب العصابات تعني المبادىء العامة التي تحكم عناصر هذه الحروب، وكذا المبادىء العامة التي تحكم عناصر هذه الحروب، وكذا المبادىء العامة التي تحكم الاعداد لها. وأما بالنسبة للحرب النووية فقد رأيت ـ حين حاولت التصدي لها ـ أن أقتصر على مبدأيها العامين في الهجوم والدفاع، واعتمدت في ذلك على بضعة من العوامل والاعتبارات التي أرجو أن يشاركني فيها القارىء الرأي.

ولقد كان من المناسب ـ وهذه الأنواع الثلاثة من

الحروب تتباين تبايناً شديداً ـ أن نعرض لكل منها في فصل مستقل.

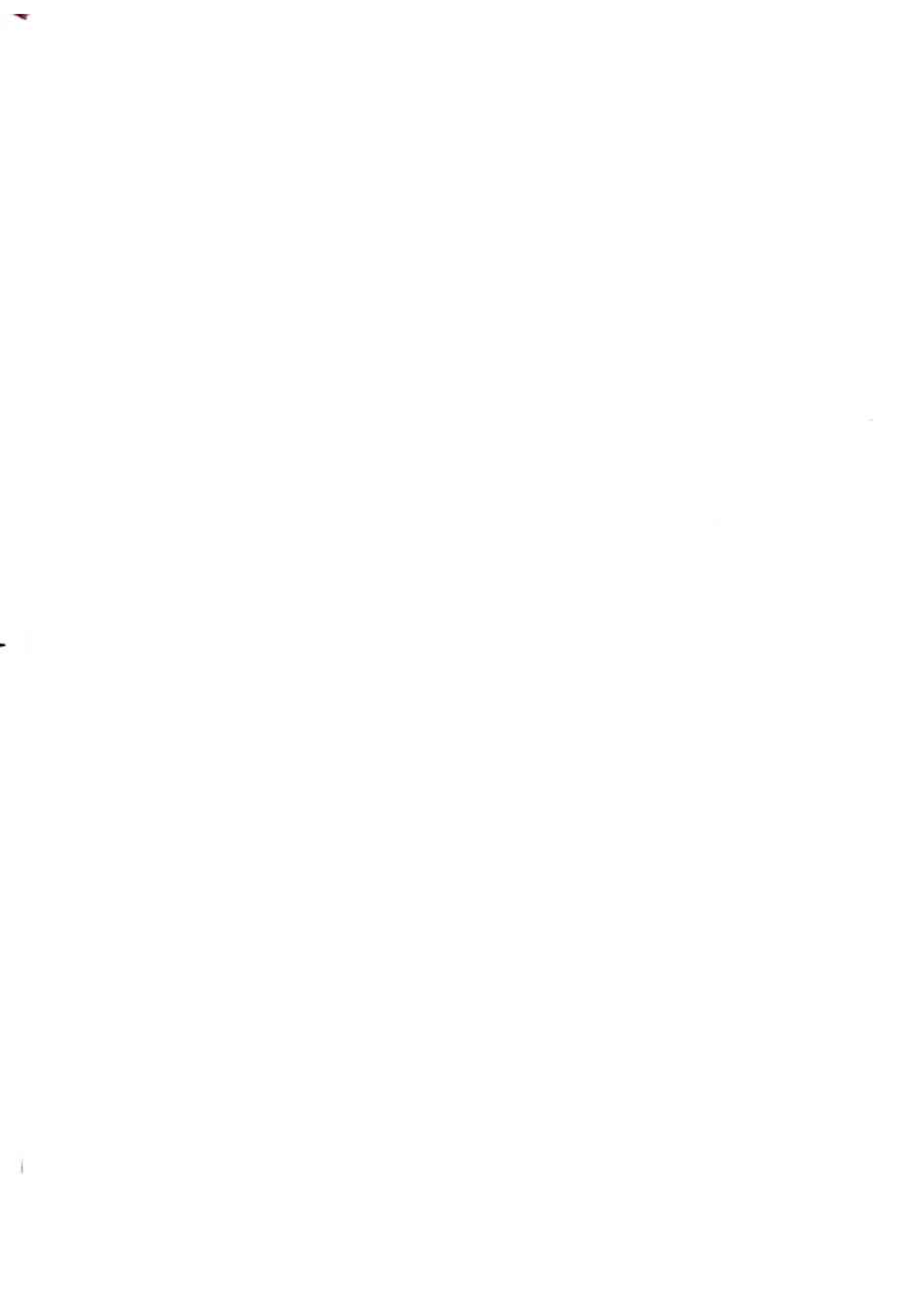
ولهذا تناولنا في الفصل الأول الحرب التقليدية: عناصرها، وقواعد الاعداد لها.

وتناولنا في الفصل القثاني حرب العصابات: عناصرها وكيفية الاعداد لها.

وأما الحرب النووية، فقد فرض التناسب الشكلي أن نكتفي بتناول مبدأيها العامين في الهجوم والدفاع في فصل خاص فحسب.

هذا والله ولي التوفيق.

هانىء أحمد الدرديري



الفصل الأول

الحرب التقليدية (الكلاسيكية)



تمهيد

يقصد بالحرب التقليدية ذلك النوع من الحروب الذي تخوضه ـ بصفة أساسية ـ القوات النظامية لدولة أوأكثر ضد دولة أو أكثر.

ولقد عرفت البشرية هذا النوع من الحروب منذ أقدم العصور. ومن اللافت للنظر أن الأساس الفلسفي لهذه الحروب لم يتغير رغم توالي العصور عليها.

فهذه الحروب ـ عسكرياً ـ تعتمد على أربعة عناصر هي الاستراتيجية، والتكتيك، والتقدم العلمي المناسب زماناً ومكاناً، ثم الخطة.

كما انها ـ **سياسياً** ـ تستهدف كسر ارادة العدو، وفرض الأرادة الأخرى عليه.

ولم يضف العصر الحديث لهذه الحروب الا أبعاداً جديدة في متطلبات الاعداد لها، وذلك تحت تأثير عوامل لم يكن للأقدمين فيها خوض من مثل:

ظهور الخرائط السياسية الحديثة التي تبلورت تماماً بظهور عصبة الأمم ثم الأمم المتحدة، ومن مثل: شمولية الحرب الحديثة بحيث صار الاعداد لها يتطلب - فضلاً عن الجوانب العسكرية - جوانب أخرى اقتصادية واجتماعية وا علامية وسياسية.

وسنتناول في الفرعين التاليين عناصر هذه الحروب، وقواعد الاعداد لها.

الفرع الأول

عناصر الحرب التقليدية

وتنقسم هذه العناصر ـ كما قلنا ـ الى أربعة عناصر هي: الاستراتيجية، والتكتيك، والتقدم العلمي والخطة.

وتتميز مبادىء الاستراتيجية بالثبات، ولم يؤثر فيها التقدم العلمي ولاالتطور الا من ناحية التطبيق فقط وكذا الأمر بالنسبة لعنصر الخطة.

وأما مبادىء التكتيك، فقد كان لظهور النار أثر ملموس عليها، سواء منها ما تعلق بالصدم أو بالحركة.

وفيما يلي سنتناول كل عنصر من هذه العناصر في مبحث مستقل.

المبحث الأول

الاستراتيجية

وقد قيل في الاستراتيجية انها: « استخدام الاشتباك كوسيلة للوصول لهدف الحرب » أو أنها: « فن توزيع واستخدام مختلف الوسائل العسكرية لتحقيق هدف السياسة » أو انها: فن استخدام القوة للوصول الى أهداف السياسة ».

ونكتفي في مجال الاحاطة الثقافية ـ هنا ـ بمعرفة ان الاستراتيجية كلمة لاتينية الأصل، تشتمل على مقطعين stra ومعناها الميدان، Tigومعناها الجبل، وقد غلب في الاصطلاح استعمالها للدلالة على القواعد العامة التي تتعلق بمجمل التخطيط للعمليات العسكرية.

وللاستراتيجية بهذا المعنى مبادىء عدة عرفت منذ

أقدم العصور، ولم يكن عباقرة القواد هم الذين عرفوها وانما كانوا هو الذين استطاعوا مراعاة هذه المبادىء وتطبيقها التطبيق المناسب والسليم.

ومن هذه المبادىء ما يعد رئيسياً لايتصور أن تخلو الاستراتيجية منها، ومنها ما يعد ثانوياً، بالنظر الى أنه لاقيمة لها مالم تكن المبادىء الرئيسية قد روعيت قبل مراعاتها.

ونتناول فيما يلي كلا من هذين النوعين من المبادىء.

أولاً ـ المبادىء الرئيسية للاستراتيجية

١ ـ المباداة

والمباداة هي: المبادرة الى العمل في الاتجاه الصحيح وبأدنى تأمل، فإن المباداة بهذا المعنى تمتد جذورها الى لحظة ظهور الهدف السياسي لدى القادة السياسيين، الاانه حين يقف الأمر عند الناحية العسكرية البحتة، فاننا نجد ان القادة العسكريين لايبدأون في العمل في الاتجاه الصحيح الا بعد وضوح الهدف العسكري أمامهم. ذلك أن تحديد الهدف العسكري في الاطار السياسي العام، يعد من صميم اختصاص القيادة السياسية ولو عاونها في تحديده العسكريون، وأما تحقيق الهدف السياسي في اطاره العسكري، فيعد من صميم اختصاص العسكريين وحدهم.

وأول خطوة عند المبادرة بالعمل في الاتجاه

الصحيح هي: تقدير الموقف، حيث يقوم القادة بدراسة أوضاعهم وأوضاع العدو دراسة شاملة لتحديد جوانب القوة والضعف في كل من الموضعين.

ويستعين العسكريون في ذلك بالمعلومات عن حجم وطبيعة القوات المعادية، والامكانيات المتاحة والمنتظرة لها، وعوامل السلب والأيجاب في تشكيل وتدريب وتسليح وأوضاع هذه القوات.

ثم يلي ذلك تحديد الهدف المطلوب تحقيقه إزاء هذه القوات، ثم دراسة طاقة القوات على تحقيق هذا الهدف في ظل الظروف الطبوغرافية والجوية التي ينتظر أن تعمل فيها، وبعد ذلك يقوم القادة بتهيئة قواتهم قتالياً ومعنوياً وادارياً وفق خطط زمنية محددة لضمان استيعابهم لهذا الهدف، وقدرتهم على تحقيقه عندما يستمر القتال.

٢ ـ المفاجأة (المباغتة)

واذا كان جوهر المبادأة هو المبادرة بالعمل في الاتجاه الصحيح، فان جوهر المفاجأة هو المبادرة

بالعمل في الاتجاه الصحيح بطريقة تخالف توقع وتقدير العدو.

وتعتبر المفاجأة أهم مبدأ من مبادىء الحرب، ويؤدي احرازها غالباً الى انهيار العدو معنوياً، فضلاً عن ارتباكه وعدم قدرته على اتخاذ اجراءات مضادة فعالة، بل انه غالباً ما سيتخذ قرارات قتالية لاتتفق والموقف الحادث فعلاً مما يؤدي في النهاية الى شل عزيمته عن المقاومة تماماً.

ولاتؤتى المفاجأة هذه الثمرة الا اذا تم استغلال الموقف الابتدائي المواتي الناجم عنها في الوقت وبالأسلوب المناسبين، ذلك أن عدم تطوير الهجوم واستغلال النجاح الأولى الى أقصى حد ممكن يتيح للعدو غالباً استعادة سيطرته ونظامه، وتفهم معطيات الموقف الجديد وابتداع الوسائل المكافئة له.

وليست هناك وسيلة واحدة لاحراز المفاجأة، فالوسائل متنوعة ومتعددة، ويكمن جوهرها جميعاً في الابتكار الخلاق، وتجنب النمطية والتكرار.

ويرى بعض الباحثين، أن المفاجأة الاستراتيجية

تتحقق فقط بأساليب معينة من مثل التعبئة السريعة لجيش، والحركة السباقة الحاسمة قبل اعلان الحرب رسمياً، والنقل السريع للقوات من مسرح لآخر. بينما يرى بعض آخر، ان من الممكن تحقيق المفاجأة الاستراتيجية بزمان أو مكان أو قوة الهجوم كذلك.

ولاتعليق لنا على هذا الخلاف النظري اذ ليست له أهمية عملية على أرض الواقع، ولهذا سنشير هنا الى كيفية احراز المفاجأة بالوسائل الأخيرة المتعلقة بزمان أو مكان أو قوة الهجوم لحاجة هذه الوسائل الى المزيد من البيان.

فالمفاجأة بزمان الهجوم تعتمد على وسائل متعددة كالاعلام المخادع، والتضليل بالمعلومات، والهجوم من الحركة، وتأخير حشد القوات الى آخر لحظة ممكنة، فضلاً عن الهجوم في الأوقات التي يقل استعداد العدو فيها كالليل أو قبيل الفجر أو في الصباح المبكر أو حتى في وضح النهار كما حدث في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣.

وأما المفاجأة بمكان الهجوم فغالباً ما تتم بالأعمال

التظاهرية، واخفاء اتجاه المجهود الرئيسي، واتباع طرق الاقتراب غير المتوقعة، أو بدء الحرب بالهجوم على مطارات العدو المختلفة أو موانيه الرئيسية.

وقد يكون زمان ومكان الهجوم معروفين للعدو، ومع ذلك يتبين عند بدء القتال أنه مفاجىء تماماً بقوة الهجوم، سواء من حيث عدد القوات، أو الامكانيات التي اتيحت لها، أو الروح المعنوية التي ظهرت بها.

وتؤتى المفاجأة ثمارها المرجوة بالوسائل السابقة اذا واكبها روح معنوية عالية، واتصاف القوات بصفات وقدرات قتالية مناسبة، فضلاً عن الاستطلاع النشط والمستمر للعدو، وكذا معرفة الأرض التي يقيم عليها استحكاماته، مع مراعاة السرية التامة في التحضير للهجوم، واعداد السلاح المستخدم فيه، مع محاولة بدء الهجوم في وقت واحد على كافة الجبهات المتاحة، مع استغلال كل العوامل المساعدة، بما فيها مفاجأة العدو بالخيانة بين قواته.

ومن أمثلة الحروب الحديثة التي تم احراز المفاجأة فيها: حرب الألمان ضد الفرنسيين في أثناء

الحرب العالمية الثانية، فقد عمد الألمان بـالأعمال التـظاهريـة، والاعلام المخـادع، الى اقنـاع القيـادة البريطانية الفرنسيـة المشتركـة بأن الضـربة آتيـة من الشمال، مما حدا بهذه القيادة الى نقل قواتها الرئيسية الى شمال فرنسا في مواجهة الحدود مـع هولنـدا، وحينذاك، حشد الألمان - في وقت محدود نسبياً - قوة ضاربة في الجنوب، وجهوا بها ضربة مفاجئة للدفاع الفرنسي الضعيف هناك، ثم استغلوا نتائج ذلك بمهارة وحذق وأنهوا المتوقعة لصالحهم.

وفي صيف سنة سنـة ١٩٦٧ طبقت اسـرائيـل الوسائل الالمانية بطريقة مناسبة، فعمدت الى التضليل بالديبلوماسية الى الحد الذي تحدد فيه يوم الأربعاء الموافق ١٩٦٧/٦/٧ موعـداً لأجتماع زكـريا محي الدين نائب رئيس الجمهورية المصرية في ذلك الوقت بالرئيس الأمـريكي حينذاك لينـدون جونسـون وذلك لأنهاء النزاع بالوسائل السلمية.

ثم استغلت اسرائيل الأعمال التظاهرية الأرضية لتشتيت الفرقة الرابعة المدرعة المصرية، وجذبها ناحية

جنوب سيناء بعيداً عن اتجاه ضربتهم الرئيسية بمحاذاة الساحل الشمالي، مستخدمة في ذلك الطلعات الجوية الكثيفة صوب الجنوب، والدبابات الهيكلية في منطقة الكونتلا.

واثر ذلك قامت اسرائيل بمفاجأة أخرى، هي المبادرة بالهجوم على جميع المطارات المصرية المدنية والعسكرية في الساعة الثامنة وخمسين دقيقة، وهو وقت كان فيه الجزء الأكبر من قادة القوات الجوية لايزالون في الطريق الى وحداتهم، أو يتناولون فيه الأفطار في الميسات!!

وقد ساعد على تجاوز هذه الضربة لحدودها ـ التي يرجوّنها ـ ان كانت طائرة المشير عامر وبرفقته بعض القادة في طريقها الى مطار «المليز» بسيناء، وبالتالي كانت المدفعية المضادة للطائرات مقيدة، وغير مسموح لها بالضرب، فاذا أضفنا الى ذلك ان الطائرات المغيرة قد اقتربت الى أهدافها على ارتفاعات منخفضة، ومن فوق البحر ووسط الضباب، ثم قامت بمهاجمة أهدافها من الأجناب والخلف، لتبين لنا كم كسبت اسرائيل من هذه المفاجأة!

وفي عام ١٩٧٣، لم نكن نحن بأقل كفاءة من اسرائيل في الاستفادة من دروس التاريخ العسكري، وابتكار الوسائل المبدعة والخلاقة لتحقيق المفاجأة الى الحد الذي جعل الاسرائيليين ومن ورائهم أعتى أجهزة المخابرات في العالم يبصرون ولا يفقهون، حتى لكأنما غشيتهم غاشية، أو سكرت عقولهم فهم لايعقلون بها، فاذا بهم، وحتى يوم الجمعة ٥ أكتوبر سنة ١٩٧٣، ينفض سامر قيادتهم السياسية والعسكرية، والجزم على أشده بالأخطر وشيك لأشتعال القتال، وقد استغرق الأمر من الأركان العامة الاسرائيلية - فيما بعد - حتى فجر السادس من أكتوبر، لكي ترجح احتمال الحرب. ثم يمضي الوقت في موازنة بين سامر الأمس وترجيح اليوم حتى تبلغ الساعة الواحدة ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ حين يهرول موشى ديان الى مبنى القيادة العسكرية لينظر ماذا يمكن فعله في الساعات الأربع التي ظنوها باقية على بدء القتال حيث يفاجأون مرة اخرى بأن الحرب وقعت بعد ساعة فقط وفي تمام الساعة الثانية ظهراً،

وهو توقيت عد وحده مفاجأة، اذا لم يعهد في التاريخ العسكري من قبل الهجوم في مثل هذا التوقيت.

ولم تتحقق هذه المفاجأة، وبالقدر الذي تحققت به على الجبهتين، المصرية والسورية، الا باتباع اجراءات طويلة ومعقدة، اشترك في الاعداد لها وزارات الحربية والخارجية والاعلام، وبجميع الأجهزة التابعة لهم.

وكان من بين الاجراءات التي اتبعت لتحقيق المفاجأة الاستراتيجية ما يلي:

- أولاً، وابتداء من أول عام ١٩٧٣، عمدت القوات المسلحة المصرية بالاشتراك مع أجهزة الاعلام المختلفة الى ترويض العدو على رؤية بعض التحركات الواسعة، والاستعدادات القوية، في الأوقات (المجاميع) الصالحة للعبور، ودون أن يعني ذلك نية القتال.

- ثم يلي ذلك، الاستمرار على مدار العام في استكمال متطلبات الدفاع لايهام العدو بأن تفكيرنا لايتجاوز الدفاع بحال من الأحوال.

وحين صارت المدة الباقية على الحركة حوالي أربعة أشهر، بدأ تجميع القوات والاحتياجات تباعاً في الجبهة مع مراعاة تصغير حجمها الى الحد الذي لايثير انتباه العدو أو شكوكه، وزيادة في الحيطة روعي في تحريك القوات والمعدات - وخصوصاً معدات العبور - تحريكها في اتجاهات مختلفة، ثانوية وعرضية داخل الجبهة، وعكسية، من والى الجبهة، وذلك تحت ستار التدريب، كما روعي في نفس الوقت التغيير المستمر في حجم وأوضاع القوات البرية، وأماكن تمركز القطع البحرية.

- ولما تبقى على المعركة ثلاثة أسابيع، تم دفع القوات الرئيسية من العمق الى الجبهة تحت زعم القيام بمناورة استراتيجية كبرى، وافقت ما تعود عليه العدو من قيام القوات المصرية بمناورتها التدريبية الختامية في الخريف من كل عام. وزيادة في تضليل العدو، ولتخفيف أثر هذه التحركات على ظنونه، عمد المسئولون الى القاء بعض التصريحات المخادعة، من مثل: تحديد يوم ٨ أكتوبر موعد لزيارة وزير حربية

رومـانيا لمصـر، وموافقـة القيادة على سفـر الضباط المصريين للعمرة.

ـ وقبل المعركة بـ ٤٨ ساعة بالضبط، تم التأكيد على النيـة التـدريبيـة بتسـريـح ٢٠ ألفـاً من جنـود الأحتياط، مما أدى الى زيادة بلبلة القيادة الاسرائيلية، خصوصاً وانها ـ بتوفيق الله ـ كانت في هذه الأونة غارقة لأذيها في حادث الفدائيين بالنمسا، وما تلاه من اغلاق معسكر شوناو هناك، وقـد أحسنت القيادة المصـرية صنعاً اذا أسرعت الى استغلال هذا الموقف الطارىء المواتي فسربت الى الديبلوماسيين الأجانب معلومات تفسر استعدادت مصر العسكرية على انها ـ حتى اذا كانت قد تجاوزت متطلبات التدريب ـ فـانها بغـرض الاحتيـاط ضـد أي هجـوم قـد يفكـر فيـه الاسرائيليون انتقاماً لحادث النمسا هذا، وقد بدا هذا منطقياً وقتها مما سـاعد على ابتـلاع اسرائيـل لهذا الطعم، وقد زاد من فاعليته، ان دافيد العازار كان قد اقترح بالفعل شيئاً من هذا القبيل وان لم يؤخذ به.

ـ وأما حين لم يبق على المعركة الا ساعات،

فقد دفعت الى حافة القناة جماعات الكسل، من مصاصي القصب والسابحين من الجنود في الماء، بحيث لم تستطع قوات الملاحظة الأمامية المعادية أن تشك في اللمسات الأخيرة التي جرت استعداداً للهجوم.

- وأما على الجبهة السورية، فقد روعيت اجراءات خداع مماثلة، كان من بينها حشد المدرعات السورية منكسة المدافع، وموجهة المواسير الى داخل سوريا، بحيث يبدو كأنها تستعد للدفاع لاللهجوم، وبالاضافة لهذا، فقد تم ابلاغ العدو بطريقة ما أن سحب سوريا لبعض قواتها من الحدود الأردنية الى الجبهة في الجولان لم يكن الا مصالحة للملك حسين بعد اجتماع القاهرة الذي أعاد العلاقات.

وبالطبع لم تكن تلك هي كل اجراءات الخداع التي بلغت خمساً وستين بنداً، وانما كانت تلك بعض البنود الهامة والمعروفة التي آثرنا ذكرها بترتيبها الزمني لنبين فكرة التخطيط الدقيق والمتأنى في القيادة العربية للحصول على المفاجأة، والتي بلغت في براعتها أن

طائراتنا المغيرة كانت تنقض على أهدافها في الثانية وخمس دقائق ظهر السادس من أكتوبر بينما جنود اسرائيل في هذه الأهداف يلعبون الكرة، ويلعنون قادتهم الذين حرموهم من الاحتفال بعيد التكفير بين ذويهم بغير مدعاة.

٣ ـ الحشد

ويقصد بالحشد ـ في الاصطلاح العسكري ـ ضمان التفوق في النقطة أو النقط الحاسمة في مسرح العمليات، وبديهي أن الحشد بهذا المعنى يعتمد على التأليف الصحيح بين القوات والعتاد المتيسر.

ولا يخفى ـ بأدنى تأمل ـ ان الحشد بهذا المعنى لاعلاقة له بعدد سكان الدولة المحاربة، أو تعداد جيشها في مسرح الحرب كله، اللهم الا من ناحية المعاونة على توفير العدد المطلوب من القوات.

وقد أثبتت التجارب ان الخطط السليمة في مجال الحشد ليست بديلاً عن تنفيذ الحشد بواقعية وكفاءة واقتدار.

ويتبع في تحقيق الحشد طرق عدة، أهم ما يراعي فيها عدم الاخلال بالمبادىء الأخرى للحرب، كما يراعى فيها، كلما أمكن، الاستفادة من الخطوط الداخلية، والموقع المركزي، كما تفعل اسرائيل دائماً، وكما فعلت الهند في حربها الأخيرة مع باكستان بشطريها الشرقي والغربي قبل أن ينفصل الشطر الشرقي ويصير دولة بنجالادش.

ومن أمثلة السنن المتبعة لتحقيق الحشد، استخدام الاحتياطي الاستراتيجي في النقط المطلوب تحقيق التفوق فيها، وكذا اجراء الهجوم التثبيتي (الثانوي) بعيداً عن اتجاه المجهود الرئيسي، منعاً لعدو من تحريك قواته في اتجاه النقط الحاسمة في مسرح العمليات.

ولاشك ان مثل هذا الهجوم التبيتي يحتاج الى تخطيط بارع، وقادة مهرة يعرفون ما يجب عليهم فعله، ويدركون مدى ما ستتعرض له قواتهم حتى ينجح المجهود الرئيسي في المكان المخطط له. وفي حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ استخدمت القوات المحمولة

جواً على الجبهة المصرية، بكثافة ملحوظة نسبياً، لاجراء الهجوم التثبيتي خلف وعلى أجناب خطوط القتال. ففي الشمال قاتلت هذه القوات لمنع قوات العدو المدرعة من التدخل لصالح المعركة الدائرة عند خط القتال، كما أن هذه القوات، وقد أسقطت فوق خط الممرات، لم تسمح للعدو بتجاوز المضايق الجبلية الا بخسائر ملحوظة، وأما في الجنوب، فقد كفى قوات الصاعقة المصرية شرفاً، ان قواعد داورياتها هناك قد أجبرت مجموعة من قوات العدو، من بينها لواءين مدرعين، على البقاء في أماكنها، وبالتالي تخفيف الضغط على القوات المقتحمة لقناة السويس.

ولم تكن تلك بالطبع هي كل قوات المجهود الثانوي فقد كانت هناك نسبة من هذه القوات تعمل على قناة السويس كذلك، ولعل هذا هو. أساس اختيار الهجوم على كل مواجهة القناة حتى لايفطن العدو الى اتجاه المجهود الرئيسي، ويضطر بالتالي الى توزيع قواته على كافة المواجهة وهو ما حدث منه، وأدى الى ضعف هجماته المضادة على طول المواجهة، تطبيقاً

لقاعدة: « ان القائد اذا حاول أن يكون قوياً في كل مكان فسوف يكون ضعيفاً في كل مكان ».

٤ ـ خفة الحركة

وخفة الحركة تعني في المنطق العسكري أمرين: أولهما التحرك بالسرعة المطلوبة في الزمان والمكان الصحيحين، وثانيهما سهولة التحرك في أي اتجاه، أي المرونة في اجراء المناورة الاستراتيجية.

ولاشك ان احراز التفوق في خفة الحركة ليس امراً مطلقاً، بل هو أمر نسبي يتم بالمقارنة بالقوات المعادية.

على أنه في اطار الحرب التقليدية، فان خفة الحركة تتحقق في الوقت الحاضر بوسائل عدة، منها، ميكنة القوات واستخدام الوسائط السريعة للنقل جواً وبحراً، ووضع القوات في أماكن تمركز مختارة، وكذا تدريب القوات على معطيات الأختراق السريع، والحرب الخاطفة.

ثانياً ـ المبادىء الثانوية للاستراتيجية

وللاستراتيجية مبادىء اخرى، يثور الجدل أحياناً حول الاعتراف بأهميتها الاستراتيجية، الا أن الذي يعنينا هنا، أن نؤكد انه لاقيمة لهذه المبادىء الأخرى بمفردها، فهي لاتعني شيئاً بدون المبادىء الرئيسية التي سبق الاشارة اليها.

ومن هذه المبادىء «البساطة» والتي تتطلب من القائد ـ اذا توافرت له عدة خطط سليمة ـ أن يختار أبسطها، فكلما اتسمت الخطة بالبساطة، قلت الأخطاء التي لابد أن تصاحب كل حرب.

فالقادة المهرة يعرفون ان الحرب التقليدية بطبيعتها غنية بالمشاكل، سواء أكانت هذه المشاكل ادارية تتعلق بمتطلبات الاعاشة والامداد بالذخيرة والعتاد والوقود واستعواضهم، أو مشاكل قتالية تتعلق بوصول القوات الى المحلات المختارة في اطار من السرية والأمن، ثم قدرتها على تنفيذ المهام الموكلة اليها بنجاح، سواء كانت

هذه المهام معدة من قبل، أم متغيرة وفقاً للمواقف المتحددة للقتال وليست هذه المشاكل وحدها بالأمر اليسير لكي يضيف اليها القائد خطة معقدة.

للمواقف المتحددة لقتال وليست هذه المشاكل وحدها بالأمر اليسير لكي يضيف اليها القائد خطة معقدة.

ومن المبادىء الأخرى كذلك « التعاون » فطابع الحرب التقليدية وخصوصاً الحديثة منها، هو التعاون بين الأسلحة المختلفة في تقسيماتها الرئيسية الى برية وبحرية وجوية ودفاع جوي، أو في تقسيمات الأسلحة الفرعية التابعة لكل قسم من الأقسام السابقة.

ولم يعد ممكناً في الوقت الحاضر كسب الحرب الا اذا عملت القوات المسلحة كلها بنغمة واحدة، وبايقاع واحد سواء في البر، أو في البحر، أو في الجو.

ولايكفي التعاون وحده لتحقيق الغرض المنشود الا اذا صاحبه تنسيق دقيق كذلك، فقد كان سر نجاح الألمان ـ مثلاً ـ في الحرب العالمية الثانية، هو قدرتهم على التنسيق بين طاقم (قاذفة القنابل ـ الدبابة ـ المشاة الميكانيكية).

ويتطلب تحقيق التنسيق بنجاح وصول المعلومات الصحيحة باستمرار، ذلك ان التنسيق بين القوات في الجيوش الحديثة يتم في مركز القيادة العليا، ومن على الخرائط المبسوطة، نظراً لاتساع مسارح العمليات في الوقت الحاضر.

كما انه لضمان نجاح التعاون والتنسيق بالمفهومين السابقين، لابد من توافر وسائل الاتصال الكافية، رئيسية وتبادلية، وعلى أن تتميز جميعها بالكفاءة والتنوع فضلاً عن سريتها بالطبع.

ومن المبادىء الأخرى للاستراتيجية كذلك «توحيد القيادة». فالتحركات الاستراتيجية تتم في كثير من الأحيان بناء على معلومات ظنية الثبوت أو الدلالة، حيث تتعلق هذه المعلومات بتصميم العدو، ومكان قواته، ومواعيد تحركها، وحجم هذه التحركات، ولايتم اتخاذ القرارات المناسبة لهذه المعلومات الا على بساط الافتراض، مما يتطلب عزماً وحسماً شديدين.

ولاضير في توحيد القيادة، مادام القائد مختاراً من بين أقرانه لبعد نظره، وصوابية حكمه، وسلامة بصيرته وعقله اللماح، وشخصيته الفذة.

فالقيادة وفق هذه الميزات أفضل بكثير من مجالس الحرب، التي تتألف من أنداد، يستطيع كل منهم عند اللزوم أن يحمل زميله مغبة النتائج التي غالباً ما تكون كارثة، فالعدو غالباً ما يعقبهم من اتخاذ القرار بعد أن تطول مناقشاتهم.

* * *

ويتبقى لدينا بعد ذلك من المبادىء الأخرى للاستراتيجية أربعة مبادىء على جانب كبير من الأهمية، وهذه المباديء هي: الاقتصاد في القوة، والمحافظة على الهدف، وضمان الشئون الادارية، وارتفاع الروح المعنوية.

ويعني مبدأ «الاقتصاد في القوة»، الاكتفاء عند دفع القوات للاشتباك الفعلي بالقدر الملائم منها للظروف، مع الاحتفاظ بالقوات المتبقية دون دفع، فبعد حشد القوات للنقط الحاسمة من مسرح العمليات، لايشترط دفع هذه القوات جميعها، وانما يتقيد الدفع الفعلي لهذه القوات بمبدأ الاقتصاد في القوة.

وتعتبر مراعاة هذا المبدأ ضمانة هامة لتحقيق المرونة في التنفيذ، وتحقيق القدرة على مواجهة المواقف الطارئة.

وأما مبدأ «المحافظة على الهدف» فيعني التزام القادة كل في موقعه بالهدف المحدد له في الخطة، حيث لايصح أن يلهيه عن هذا الهدف وقائع الحرب مهما كانت. أو مغريات التنكب مهما عظمت.

وليس معنى ذلك أن هذا المبدأ يعني الجمود التام، أو التنكر لمعطيات الواقع أثناء القتال، فللقادة أن يتصرفوا عند التنفيذ بمرونة وذكاء، على أن يراعوا دائماً مع تعدد الحركة ثبات الهدف، أو كما قال القائد الروماني الشهير رومونوس: «لايهم ما دامت كل الطرق توصل الى روما».

وأما عن «الشئون الادارية»، فقد تناسبت أهميتها طردياً مع تعاظم الاحتياجات القتالية في الحرب الحديثة، فالجند، لايستمرون في القتال بمعدة خاوية، أو خزنة فارغة، كما انهم لايتنقلون بعربات خالية من الوقود، فضلا عن انهم لايقاتلون بدبابة لم يتم اصلاحها أو طائرة لم تتحقق صيانتها.

ونحن سنسلم أكثر بأهمية الشئون الادارية، اذا عرفت أن كل المشاكل السابقة ليست الا قليـلا من كثير، وغيضا من فيض من مشاكل الشئون الادارية، تلك المشاكل التي تمتد لتشمل كل ما يساعد على تحلي الجنـود بالـرغبة المتجـددة للقتـال، بـالغـة مـا بلغت احتياجاتهم الادارية في هذا الشـأن، حتى لو تعلقت بعلاج مرضاهم، واخلاء جرحاهم، أو حتى الترفيه عن الأصحاء منهم، ولهذا ذاع القول المأثور: « ان الصحراء جنة رجال التكتيك ونار رجال الشئون الادارية ».

وأما « الروح المعنوية »، فقد كان أحسن ما قيل فيها: « ان السلاح بالرجل ». فالجندي الشجاع تتجنبه الطلقة، ويرتعش أمامه السونكي. وكم من حـروب كانت الروح المعنوية أساس الهزيمة فيها.

وليست هناك وسيلة واحدة لرفع الروح المعنوية، فهناك وسائل متعددة، أهمها بث الايمان بين الجنود، واختيـار قـادة العمليـات من بـين القـادة الصـالحـين والمعروفين بالحرفية اللازمة لكسب الحرب، وكذا التأكيد الدائم على استمرار الاستعداد العالي للقوات ورئاستها، وكذا على الاحتفاظ دائماً باللياقة البدنية العالية.

والروح المعنوية في المجال الاستـراتيجي، تتوقف كذلك على محبة الجنود لقائدهم الأعلى، وتمتع الأخير بثقتهم فيه، وذلك انما يكون باحتفاظه الدائم بوضوح الرؤ ية أثناء الحرب.

المبحث الثاني

التكتيك

تحدثنا من قبل عن المبادىء الاستراتيجية، وتبين مما قلناه أن الاستراتيجية ترتبط بتحرك القوات وأوضاعها قبل المعركة، وبالتأمل، لايخفى ان الغرض من تطبيق مبادىء الاستراتيجية هو اجبار العدو عـلى القتال في الوضع الذي لايلائمه عند الاتصال به بهـدف الفوز بالنصر في مواجهته.

لكن احراز هذا النصر لن يتأتى بتطبيق المبادىء الاستراتيجية وحدها، بل يجب أن يتوج التطبيق المبدع

لهذه المبادىء الاستراتيجية بنجاح تكتيكي كذلك، اذ لاتغني الاستراتيجية الناجحة عن اتباع التكتيكات السليمة داخل المعارك المختلفة التي تنظمها الحرب، فالتكتيك الفاشل لن تجدي معه الاستراتيجية المنتهجة مهما كانت درجة تفوقها.

ويقصد بالتكتيك في مجالنا هذا: القواعد التي تستخدم لتحقيق التأليف الصحيح بين النار والحركة بغرض احراز قوة الصدم المطلوبة، وكذا الاستفادة التامة من الخصائص الفنية للسلاح المستخدم.

ولايؤثر في بقائنا في نطاق تطبيق القواعد التكتيكية أن تكون الوحدة المستخدمة من النطاق التعبوي، فمبادىء التكتيك التي ستمر بنا بعد حين تشمل ما دون الاستراتيجية ولو كان تعبوياً.

وللتكتيك عنصران رئيسيان هما: النار، والحركة. وينتظم هذين العنصرين مبادىء عامة هي هي بعينها مبادىء الاستراتيجية وان تحورت لتلائم التمجال التكتيكي بالطبع. وفضلا عن هذه المبادىء العامة فهناك مبادىء خاصة لكل عنصر من عنصري التكتيك.

وسنتناول في القسمين التاليين مبادىء كل عنصر من عنصري التكتيك، أي مبادىء النيران ومبادىء الحركة.

القسم الأول:

مبادىء النيران

ويعتبر استخدام النيران في المعارك التقليدية الحديثة هو الأساس، ويستثنى من ذلك حالات قليلة قد يستخدم فيها السلاح الأبيض. ويتوقف النجاح التكتيكي كثيراً على التخطيط الدقيق للنيران.

ويكون التخطيط النيراني دقيقاً ومحكماً اذا ما روعي فيه المبادىء العامة التالية:

أولا ـ الحشد:

ويقصد بالحشد في هذا المجال تجميع أكبر قدر ممكن لمصادر النيران في المراكز الرئيسية للمعركة

التكتيكية.. ويتطلب تحقيق هذا الحشد مراعاة التأليف الصحيح بين السلاح المتيسر والمحلات المختارة له بعناية، وهذا بالطبع مع مراعاة التنسيق الكامل مع المستوى الاستراتيجي والمستويات التكتيكية الأخرى.

ثانياً ـ المفاجأة:

فلا قيمة لهذا الحشد اذا أتى بطريقة يتوقعها العدو، ويعد لها الوسائل المضادة المناسبة، فلابد لكي نعتني الثمرة المرجوة من أن نحرم العدو من الوقت الكافي والاستعداد المناسب لمواجهة التخطيط النيراني المعد، ولن يتحقق هذا الا بمفاجأته بالنيران.

ثالثا ـ الدقة والمرونة

فلن يكلل الحشد، ولن تتوج المفاجأة بالنجاح، الا اذا كانت النيران معهما دقيقة ومرنة، خصوصاً وان التقدم العلمي الهائل قد أدى الى ضمان سقوط النيران في البقعة المطلوبة بالضبط، كما انه أدى كذلك الى تحقيق القدرة على المناورة بالنيران بالطريقة المطلوبة تماماً.

رابعا ـ الاستمرار :

فقد تتوافر للقائد المحلي كل العوامل السابقة، الاأن ذخيرته تنفذ دون أن تكون هناك خطط موضوعة لضمان استعراضها واستمرارها، وهنا يتكفل العدو غالباً بحل هذا الأشكال.

القسم الثاني :

مبادىء الحركة

وتتحرك القوات في الميدان تحركات متعددة، الا أن هذه التحركات مهما تعددت لاتخرج عن اطارين هما: التحرك للهجوم، والتحرك للدفاع.

ولكل من الهجوم والدفاع مزايا معروفة تكتيكيا، فالمهاجم يتمتع باختيار وقت ومكان المعركة، بينما المدافع يتمتع في مواجهة ذلك بميزتين رئيسيتين هما: دراسة الأرض، وتجهيزها هندسياً، وقد يتمتع المدافع الى جوار

ذلك بميزات أخرى قد لاتتوافر في كل معركة ونعني بذلك دعم الشعب، والميل الغريزي للجند نحو الوله بتراب الأرض، وكذا الموانع الطبيعية الصعبة.

هذا، وليس من الميسور الجزم مسبقاً بتفوق أحد الشكلين السابقين في المجال التكتيكي، فالفصل في ذلك ليس مطلقاً ومجرداً، وانما هو يتم بناء على عوامل فنية كثيرة، يدرس القادة المهرة معطياتهم، ثم يحددون على أثرها الشكل الذي يرونه محققاً أقصى القوة لقواتهم على أرض الواقع.

وعلي أية حال فسنتناول فيما يلي كلا من الدفاع والهجوم.

أولا ـ الهجوم:

وللهجوم أشكال ثابتة، ومعروفة، هي: الالتفاف، والتطويق، والاقتحام بالمواجهة. ويتوقف اختيار الشكل المناسب منها على عوامل فنية كثيرة، أهمها: الظروف الطبوغرافية، ونظم دفاعات العدو، وأسلوبه في العمل، فضلا عن الموعد المطلوب تحقيق الهجوم فيه ليلا أم نهارا؟.

ويقصد بالالتفاف: التقدم على أجناب العدو ومؤخرته المباشرة، مع معاونة ذلك بهجوم تثبيتي (ثانوي) آخر على المواجهة.

ولايختلف التطويق عن الالتفاف الا في عمق المدى، فالتطويق لايتم على الأجناب والمؤخرة مباشرة، وانما يتم بعيداً عنهما، كما قد لايكون هناك تعاون مباشر دائماً بين قوات الأجناب وقوات المواجهة في مجال التطويق.

وقد يتم الالتفاف بجناح واحد على جنب واحد وهنا يسمى بالالتفاف المفرد، وقد يتم بجناح واحد على كل جنب من الجنبين وهنا يسمى بالمزدوج، كما قد يكون الالتفاف بجناحين على كل جنب من الجنبين وهنا يسمى بالمركب، ونفس الشيء تماماً بالنسبة للتطويق.

وأما الاقتحام بالمواجهة فيقصد به أحد شكلين: أما الهجوم على مواجهة واسعة، واما الهجوم على مواجهة ضيقة واختراقها ثم الاتجاه الى خلف أجناب العدو والى مؤخرته، وفي هذه الحالة تكون تسميته الدقيقة هي الاختراق بالمواجهة.

ويتم اختيار الشكل الأول (الاقتحام بالمواجهة) اذا أريد اجبار العدو على توزيع مجهوده، وتضليله على اتجاه المجهود الرئيسي للضربة. بينما يتم اختيار الشكل الثاني (الاختراق بالمواجهة) في حالة ما اذا كانت أجناب العدو قوية ومحمية بدرجة مناسبة، بينما تكون دفاعات الوسط ضعيفة أما لعدم حمايتها بدرجة كافية، واما لوقوعها بين فواصل الوحدات.

وأيا ما كان الشكل المتخذ للهجوم، فان القادة المهرة لايهملون فيه السرية، واحماء القوات للقتال بحسم وعزيمة، وكذا المحافظة على القوة الدافعة للهجوم، والمبدأ الأخير ليس بالأمر الهين لما يتطلبه من استعواض مستمر لكميات في الذخيرة والعتاد تتعاظم بتعاظم مواجهة المعركة وعقمها.

وقد يلحق بالهجوم شكلان آخران يسمى أولهما بالمعركة التصادمية، وهي تنشأ من فجاءة القوات المتضادة كل منها بالأخرى. والنجاح في هذا الشكل للخصم العنيد المصمم، الذي يسرع بالفتح المناسب في تشكيل المعركة، وبعد أن يكون قد أخذ حذره واحتياطه من قبل بدفع مفارز متقدمة اثناء السير مهمتها التنبيه

الى العدو وأوضاعه فور ظهوره، ثم تعطيله حتى تسرع القوة الرئيسية بالفتح للمعركة.

وثاني هذين الشكلين يسمى بالمطاردة وتعزيز الأراضي المكتسبة، ويؤتى هذا النوع ثماره بالمحافظة المستمرة على الاتصال بفلول العدو المنسحبة، لما يعنيه هذا الاتصال من اسمرار الضغط على العدو، وحرمانه من اية فرصة لتجميع قواته أو التقاط انفاسه.

وفي الختام، يجدر التنويه الى أن التنفيذ العملي لأي من أشكال الهجوم السابقة يصاحبه اختيارات كثيرة، سواء في نقطة الفتح للهجوم، والتي قد تكون من الاتصال القريب أو من العمق، وهذا يتوقف بدوره على طبيعة دفاعات العدو (مجهزة أو غير مجهزة)، ونوع دفاعه (ثابت - متحرك) وشكل دفاعه (خطي - صندوقي - دائري)، كما يتوقف كذلك على مسرح المعركة، هل هو صحراوي أم يقع في المدن؟. وهل أي منهما به موانع أو بدون موانع؟ وكذا تتوقف نقطة الفتح للهجوم على وقت المعركة، هل هو ليلا ام نهارا؟.

وهناك كذلك اختبارات اخرى تتعلق بنوع القوات المستخدمة لتحقيق شكل الهجوم، والغالب الآن - استجابة لمعطيات معركة الأسلحة المشتركة - ان يتم التنسيق بين كافة أنواع القوات، سواء البحرية، أم البرية، أم الجوية وبالأفرع المناسبة من كل منها بالطبع.

وبالاضافة الى هذه الاختبارات، فهناك ايضاً الاختبارات التي تتعلق بالأنساق التي تدفع للمعركة، وأسلوب دفعها.

وللهجوم الليلي اختيارات خاصة تتعلق بدرجة الصخب المسموح بها، فهل يكون صاخباً؟ وفي هذه الحالة يبدأ بالتمهيد النيراني المناسب بالأسلحة الثقيلة وبالأضاءة المناسبة، أم يكون صامتا؟ وهنا لاتستخدم نيران الأسلحة الثقيلة ولاتضاء أرض المعركة الا بعد اكتشاف العدو للهجوم، أم يكون جامعا بين النوعين السابقين بحيث يكون صامتا/ صاخبا؟ وهنا لايصدر القائد أوامره بصخب الهجوم الا بعد مرور قواته من المناطق الأكثر تعرضاً لنيران العدو.

وغنى عن البيـان انه لايتصـور ان يبدأ الهجـوم صاخباً ثم ينقلب صامتا كما يظهر بأدنى تأمل.

ثانيا ـ الدفاع:

ولايعني الدفاع قط التخلي عن المبادىء الصحيحة لاستخدام القوات، بل ولايعني حتى مجرد تركِ المبادأة. فالدفاع لايعني فقط سوى الانتظار، وفرق بين الانتظار والسلبيةالظاهرة، والقادة المهـرة يعرفـون ذلك، ولهـذا تجدهم ما أن يتعين الدفاع شكلا للمعركة المرتقبة، الا ويعمـدون الى البمادرة بـانتخاب المحـلات المختارة، وتوزيع القوات عليها توزيعاً مناسباً ثم موالاة التبصر بأحوال العدو، والترقب له حتى يقع في الفخ المنصوب له، وهنا تجد المدافعين وقد عمدوا فوراً الى الهجـوم المضاد المعد له من قبل، ثم يستمرون في المحافظة على هذا الهجوم حتى يتحقق لهم الحسم.

أما لماذا يتعين الدفاع كأمر حتمي أحياناً؟ فدون ذلك أسباب متعددة منها: تعذر القيام بالهجوم، أو عدم ضمان نتائجه، أو كون دفاعات العدو قوية ومتفوقـة

بحيث لايكون مناسباً مهاجمته الا بعد تكبيده خسائر كبيرة في معركة دفاعية ناجحة، كما قد يتحتم الدفاع أحياناً عند توفير القوات لحشدها في الاتجاهات الرئيسية أو عند الاحتفاظ باحدى الهيئات الحاكمة.

هـذا، وللدفاع شكـلان رئيسيان، دفـاع ثابت، ودفاع متحرك، ويتميز الأخير بوجود احتياطات تكتيكية تتولى الدخول مع العدو المقتحم في معركة تصادمية، أو تتولى القيام بالهجوم المضاد عليه في أماكن معدة لـه بعناية من قبل.

وأما الشكل الذي تقبع فيه القوات في وضعها الدفاعي، فقد يكون خطيا، وفيه تكون القـوات في الغـالب عـلى خـطين أمـامي وخلفي، وقـد يكـون صنـدوقيا، وفيـه تتخذ القـوات وضعهـا عـلى شكـل مستطيل، كما قد يكون دائرياً تقبع فيه القوات في شكل دائري يتيح لها الدفاع في جميع الاتجاهات.

* * *

ومـع أي من هذه الأشكـال قد يكـون التجهيز

الهندسي قويا ومجهزا، أو على عجل وغير مجهز، والغالب الآن نظراً لميوعة العمليات العسكرية وسرعة ايقاعها ان يبدأ المدافع معركته من دفاعات مجهزة ثم تتداخل القوات بعد ذلك ويضطر كل منها الى اتخاذ مواقف دفاعية كثيرة وسريعة لاتسمح سرعتها غالباً بأي تجهيز.

وجدير بالختام ان نشير فيه الى أن هناك حالتين تلحقان بالدفاع ألا وهما القتال داخل الحصار، والقتال بقصد التخلص من المعركة والانسحاب.

ولكل من هاتين الحالتين خواص مميزة، ويجمع بينهما ان النجاح فيهما مكتوب للقوات المدربة تدريباً عالياً، والممهدة نفسياً للعمل في أحلك الظروف.

المبحث الثالث

التقدم العلمي

وقد أضحى التقدم العلمي عنصراً من عناصر الحرب لايمكن اغفاله، أو التهوين من شأنه، فحينما

تتمكن الدولة من اختراع سلاح جـديد، فـإن ذلك يعطيها ميزة واضحة على أعدائها. ولهذا، فقديما عد اختراع القوس بعيد المدى والبارود في القرن الـرابع عشر الميلادي أمرين لهما أهميتهما واما الآن، فها نحن نلحظ الجديد الذي تحظى به الأسلحة كل يوم، من مدفعية وقطع بحرية، الى دبابات وطائرات، وما يتبع كلا من هذه الأسلحة من قنابل وصواريخ ومقذوفات وألغام تتطور بدورها كل يوم.

وبالاضافة الى ذلك، فهناك اللاسلكي، والرادار، والتليفزيون، ووسائل الاستطلاع والمراقبة. والرؤيـة. سواء منها اليدوية أو الالكترونية، وسواء منها ما كان في باطن الأرض، أو على سطحها، أو تشق طريقها في عنان السماء محمولة على متن الطائرات، أو تقطع الليل والنهار في جوف الفضاء الخارجي محمولة ببطن الأقمار الصناعية.

وهذه الاختراعات ولاشك قـد صارت ملمـوسة آثارها على المعارك والحروب، وصارت معروفة أهميتها في تجاوز الموانع المكانية والزمانية (المسافات ـ الوقت).

وهذا يؤكد ما قلناه من أهمية التقدم العلمي كعنصر من عناصر الحرب.

ونحب أن نؤكد ان التقدم العلمي لايقاس في أي دولة الا بمقدار قدرتها على تنمية واستثمار العقول العلمية فلا يكفي للاعتراف بالتقدم العلمي للدولة ما، أن تكون قادرة على استيعاب ما أنتجته الدول الأخرى من وسائط علمية، فالعبرة في مجال التقدم العلمي رهينة بتوافر المناخ الملائم لتنمية العقول تنمية علمية، ثم استثمار هذه العقول ـ فيما بعد ـ بما يحقق أقصى استفادة منها.

وليست هناك حدود للمجالات العلمية العسكرية، فكل الظواهر المختلفة يمكن الاستفادة منها عسكرياً، سواء أكانت هذه الظواهر طبيعية، أم كميائية، أم بيولوجية، وسواء أكانت المادة الوسيطة في الموضوع صلبة، أم غازات، أم سوائل.

وفي حرب أكتوبر سنة **١٩٧٣** أكدت الأقمار الصناعية وطائرات التجسس والاستطلاع ، والقنابل التليفزيونية، والدبابات المجهزة للرؤ ية الليلية، ووسائل

الاستطلاع الالكترونية، أهمية التقدم العلمي كعنصر حاسم في الحروب. ولهذا تحرص الدول حديثاً!، على الحصول على التفوق العلمي النسبي على عدوها قبل الدخول معه في حرب وذلك حتى تضمن لنفسها حسماً ملموساً في هذه الحرب.

المبحث الرابع

الخطة

وبديهي ان العناصر الثلاثة السابقة للحرب لاقيمة لها مالم تتوظف في النهاية في خطة عسكرية مناسبة زماناً ومكاناً.

وحين يضع القائد خطته، فانه يبدأ أولا بالأجابة على الأسئلة التالية:

- ماهو الهدف المطلوب بالضبط؟

- أفي طاقة قواتي أن تحقق هذا الهدف؟

ـ ما هو الأسلوب المناسب لتحقيق هذا الهدف؟

ـ ماهي أبعاد معركة المفاوضات ومتطلباتها بعد أن تنتهي المعركة العسكرية والى أن تنتهي الحرب؟

والأجابة على هذه الأسئلة هي المفتـاح الصحيح لأي خطة عسكرية، وأما التفصيـلات التقليديـة من مثل: طريق التقدم والمناورة، والهيئات الحاكمة المطلوب الاستيلاء عليها فليست الا تقليـداً ينشغل بـه القادة النمطيون لاالمبدعون، فالأخيرون يهتمون فقط بالتصور الملهم للخطة، وأما مثل هذه التفصيلات الفنية، فانهم يتركونها للأركان العامة التي احسنوا اختيارها من قبل.

وتخضع الأجابة على هذه الأسئلة السابقة لأسس معينة، نشير فيما يلي الى طرف منها:

أولا ـ الهدف:

وهدف الحرب تضعه الحكومات الآن، ويشترك في وضعه كل أوجل أعضائها، وسواء منهم من كان مدنياً أو عسكرياً. ولاغرابة في ذلك، وقد استقر منذ زمن ان

الحرب ليست الا سياسة كلماتها الطلقات، ومفاوضاتها العمليات.

وتعمد الحكومات قبل وضع الهدف المرجو من الحرب الى تقييم الوضع السياسي بشكل دقيق، مقدرة فيه جوانب القوة والضعف لديها ولدى عدوها، قاصدة بذلك أن تتجاوز مثالب سياستها نسبياً في مواجهة هذا العدو، وذلك حتى تضمن لنفسها وضعاً سياسياً قوياً، فبضمانة هذا الوضع السياسي القوي، ومع بديهية التأثير المتبادل بين الوسائل السياسية والوسائل العسكرية، سوف تضمن الحكومات لنفسها وضع حربياً قوياً بالتالي.

وكلما كان الهدف العسكري متلائماً مع النوايا السياسية، كان هدفاً مثاليا، يعبر اختياره عن فطنة تبشر بالنجاح على أرض العمليات.

وكلما زاد اعتماد العدو على الوسائل العسكرية لخدمة معركته السياسية ضدنا، زاد بالتالي حجم الجهد العسكري المطلوب تحقيقه، والعكس صحيح تماماً، ولهذا ليس أمامنا اذا كانت سياسة العدو عسكرية في

أسسها وتوسيعة عدوانية في أهدافها، الا أن ننزع منه وسيلته العسكرية باعتبارها مركز الثقل في وسائله السياسية.

وأما كيف يتحقق حرمان العدو من سلاح القوة العسكرية؟ فدون ذلك طرق متعددة، أولاها: تدمير قوات العدو بانزال درجة مناسبة من الخسائر بها، ثم تشتيت البقية الباقية منها الى حيث تصبح عديمة الفاعلية والقيمة وثانيهما: اقناع العدو بعدم فاعلية قواته في المحافظة على أهدافه السياسية، فاذا كان العدو يعتقد - مثلا - ان حصونه العسكرية تحقق له الأمن والاستقرار، فان الاستيلاء على بعض من هذه الحصون لخلخة اعتقادة يعد هدفاً مثالياً في هذه الحالة، ولمن شاء أن يتدبر مثلا تطبيقياً لذلك فأمامه معركة أكتوبر سنة ١٩٧٣.

وغني عن الذكر ان بين الطريقتين الأولى والثانية مساحة هامشية مغطاة - ولاشك - ببدائل عدة، يتوقف الانتقاء منها على الظروف الواقعية لكل حالة.

وأما ثالثة هذه الطرق، فتتحقق بالاكتفاء باحراج

قوات العدو، واستغلال هذا الاحراج في تليين موقفه السياسي. وتلجأ الحكومات في سبيل تحقيق ذلك الى وسائل عدة قد يكتفي فيها بالمظاهرات العسكرية، أو المضايقات البحرية، وقد يزاد على ذلك قليلا بالاستيلاء على شريط من الأرض لاأهمية له.

والحق ان هذه الأعمال وان كانت اعمالا عسكرية، وتدخل في زمرة أعمال الحرب، الا ان الأساس الوحيد لأقحامها في الدراسة الفلسفية لاستراتيجية الحسم هو التمحل والاستطراد، اذ انها في الأصل داخلة في وسائل استراتيجية الردع لاالحسم، تلك الاستراتيجية التي تستهدف ارهاب العدو لمنعه من التفكير في الحرب، وهي تخرج عن نطاق دراستنا هنا، لأننا نتحدث عن خطة الحرب بافتراض اننا مضطرون للقتال بالفعل.

ثانياً ـ الطاقة

وقد يتبادر الى الذهن وقد تدنينا ـ ولو بالعسف ـ في الأهداف العسكرية للحرب الى حد المضايقات

البحرية، اننا سوف ننحي باللائمة على أي قائد يتعلل بطاقة قواته، لكن ذلك غير صحيح تماماً. فالقائد حين يدرس طاقة قواته ليس عليه ان يدرس طاقتها على استيعاب الهدف المزمع فقط، وانما عليه كذلك، أن يدرس قدرتها على استيعاب رد الفعل المحتمل للعدو، بل انه سوف يلقى تقديرنا أكثر اذا درس الى جوار القدر المحتمل من رد الفعل تلك النسبة الثابتة للقدر غير المتوقع من العدو. وقديماً قيل اننا نضع ثلاثة احتمالات ليأتي منها العدو الا انه يأتينا دائماً من الاحتمال الرابع.

ويحدد لنا فيلسوف الحرب كارل فون كلاوز فيتز[1] الضمانات التي اذا توافرت اطمأننا الى طاقة قواتنا في ثلاثة ضمانات هي:

١ ـ أن تكون القوات العسكرية كافية لتحقيق نصر حاسم على قوات العدو.

---

(١) كارل فون كلاوز فيتز ـ في الحرب ـ الجزء الثالث ـ ص ١٠٢ـ طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٦٩.

٢ ـ أن تستطيع هذه القوات تقديم الخسائر اللازمة من القوات اذا تم تتبع النصر حتى النقطة التي تصبح معها عملية استعادة التوازن غير محتملة.

٣ ـ التأكد من ان الوضع السياسي ـ مع تحقيق الهدف العسكري.. سيكون متيناً بشكل لايجعل هذه النتيجة طريقاً لاثارة أعداء جدد يجبروننا على التراجع حتى عن العدو الأول.

ويؤكد كلاوزفيتز على ضرورة توافر هذه الشروط الثلاثة، حتى لايضطرنا تخلف أحدها ـ وخصوصاً الأخيرة ـ الى اضاعة ما ربحناه بالشرطين الأخريين، بحيث لانستفيد في النهاية الا دفع تكاليف الثلاثة معا.

ثالثاً ـ الأسلوب:

فبعد أن يعرف القائد هدفه، ويطمئن الى انه داخل في استطاعة قواته، فانه يبدأ بعد ذلك في تحديد الأسلوب المناسب لتحقيق أقصى المواءمة بين الهدف والطاقة.

ويتدخل في تحديد هذا الاسلوب ثلاثة عوامل هي: الوقت، والقدرة، وطبيعة مسرح العمليات.

ونشير فيما يلي الى أثر كل من هذه العوامل على الأسلوب المختار:

١ ـ بالنسبة للوقت:

ولايقصد بالوقت هنا الفترة الزمنية اللازمة لتنفيذ العملية العسكرية، فهذه الفترة ـ مع اعترافنا بأهميتها القصوى في ظل الظروف الدولية السائدة الآن ـ لها أهميتها بصفة أساسية في المجال التكتيكي لافي المجال الاستراتيجي الذي نتحدث عنه ونحن نتحدث عن الخطة وان كان لايخفى بالطبع أن هناك درجة من التأثير المتبادل بين المجالين.

وأما الوقت المقصود هنا، فهو وقت الترقب والانتظار الذي يسبق بدء تنفيذ العملية، فهذا الوقت هو صاحب الأثر في المجال الذي نتحدث عنه الآن.

ومع التسليم بأن التبسيط النظري يخل دائماً بجوهر الواقع المتشابك، الا انه يمكن ـ مع ذلك ـ ملاحظة اثر الوقت على الأسلوب المختار من خلال معادلة بسيطة مؤداها، انه كلما كان الوقت يجري لصالح دولة معينة، كان عليها أن تركن الى الانتظار أي أسلوب الدفاع،

وعكس ذلك صحيح تماماً، فان على الدولة التي يجري الوقت ضدها أن تبادر فوراً الى الهجوم حتى ولو كانت أقل قدرة من الدولة الخصم، باعتبار ان الانتظار لن يكسبها الا مزيداً من السوء، ما دمنا نفترض ان الوقت يجري ضدها. واما اذا كان تطور الوقت ذا أثر واحد على الطرفين أولا اثر له على الاطلاق، فإن على الطرف المهاجم سياسياً ان يستمر في الاحتفاظ بالمبادأة متخذاً من الهجوم العسكري وسيلة لتنويع وسائله السياسية.

٢ ـ بالنسبة للقدرة:

وكما كان للقدرة أثر على تحديد الهدف، فان هـ أثرا كذلك في تحديد أسلوب تحقيق هذا الهدف.

فحينما نكون أقوياء بدرجة كافية سياسياً وعسكرياً فعلينا أن نبادر فوراً الى الهجوم، وأما اذا لم تكن قوتنا بهذه الدرجة، فليس أمامنا الا أسلوب الدفاع لنستفيد من مميزاته فيما بعد في هجوم مضاد ناجح وقوي.

وحتى في داخل أسلوب الهجوم والدفاع فان القدرة تلعب دوراً حاسماً في جزئيات الاستراتيجية المنتهجة.

فمثلاً في اطار الهجوم، اذا لم تكن لدينا قدرة كافية للوصول الى مركز الثقل المعادي الذي قد يكون العاصمة السياسية أو القوات الرئيسية للعدو، فليس أمامنا ـ في هذه الحالة ـ الا أسلوب الهجوم غير المباشر.

ونظير ذلك في التاريخ العسكري ما فعلته بريطانيا في السنين الأولى من الحرب العالمية الثانية، اذ كانت تعتبر ان معركتها مع الألمان تجري في الشرق الأوسط وايران والعراق، وأما حين دخلت الولايات المتحدة الحرب ـ وهي دولة غنية بالامكانيات والموارد ـ فان سيمفونية الاستراتيجية البريطانية الأمريكية في اتجاهها الى مركز الثقل بألمانيا ذاتها.

وأما أثر القدرة على أسلوب التنفيذ المتبع لتحقيق الاستراتيجية الهجومية، فيمكن ان نلحظه اذا تذكرنا ان هناك أساليب متعددة للهجوم، من مثل: الاختراق الخاطف، والاستراتيجية الجوية، واستراتيجية القوة الدافعة (اي الكتلة مضروبة في سرعة التحرك). ويتوقف انتقاء اي من هذه الأساليب على عاملين متساويين في الأهمية والتأثير، أولهما: القدرة، والتقاليد الاستراتيجية المستقرة للدولة المحاربة.

وأما في اطار الدفاع، فالمعروف ان الطرف المدافع ينتظر دائماً للايقاع بعدوه في احدى لحظتين:

- لحظة تجاوز العدو لنقطة الذروة في هجومه.

- لحظة اضطرار العدو المهاجم لوقفات دفاعية.

ففي أي من هاتين اللحظتين لايتردد المدافع - على فرض سلامة العوامل الأخرى من العوارض - في التحول من الدفاع الى الهجوم العام المضاد. وأما أي اللحظتين ننتزهما لشن الهجوم العام المضاد، فهذا بدوره يتوقف على عاملين كذلك:

- القدرة - وهنا تظهر أهميتها كما قلنا.

- العمق المسموح بتوغل العدو فيه، اذ أنه كلما كان عمقنا الدفاعي قادراً على الاحتفاظ بالتوازن رغم توغل العدو، كان من الأفضل ارجاء الهجوم العام المضاد الى لحظة تجاوز المهاجم لنقطة ذروة هجومه، وتكون المرحلة الأولى من استراتيجيتنا المنتهجة معتمدة على المقاومة مضروبة في العمق والمسافة. وأما اذا كان الاتزان الدفاعي عندنا هشاً، لايسمح بتوغل العدو لما

بعد الحد الأمامي للدفاعات فليس أمامنا، الاأن نقاوم عدونا بعناد واصرار عند الخط الأول للقتال، ثم نبادر فوراً الى الهجوم العام المضاد عند أول وقفة دفاعية للعدو المهاجم.

٣ ـ بالنسبة لطبيعة مسرح العمليات:

ويقصد بمسرح العمليات، ذلك الجزء من مسرح الحرب الذي يتمتع باستقلال محدود، وينتظر جريـان العمليات العسكرية عليه.

وبأدنى تأمل، فإن طبيعة مسرح العمليات تفرض نفسها على أسلوب التحرك المتاح. ذلك انه اذا كان العدو يحتل ذلك الجزء المحمي من مسرح العمليات، فليس أمام الطرف الآخر الا أن يغريـه ليخرج من مكمنه ثم يلاقيه في مقتله بعد ذلك، وأما اذا كـان الطرف الآخر هو الذي يحتل الجزء المحمى من مسرح العمليات، فعليه، والحال كذلك، أن يوازن بكل دقة، بين الانتظار في محلاته المختارة، وبين الاتجاه الى عدوه في موضعه الهش.

وبما لاشك فيه، ان هذه الاختيارات الدقيقة تتم في اطار من المعطيات الموضوعية الأخرى، وأهمها الوقت والقدرة كما سبق.

رابعاً - وضع القوات في معركة المفاوضات

حين سئل - المغفور له - المشير أحمد اسماعيل علي بعد حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣، عن دواعي البطء الذي صاحب العمليات المصرية في هذه الحرب، وخصوصاً في فترة الوقفة التعبوية في المدة من ١٠ - ١٣ أكتوبر، قال: «لاعلى ان كنت بطيئاً بعض الشيء، فقد تركت بضعة كيلومترات على الأرض ولكني خرجت بقواتي سليمة من المعركة».

وما قاله المشير أحمد اسماعيل، صواباً، يتفق مع مبدأ هام من مبادىء التخطيط للحرب. فالحرب لاتنتهي بمجرد توقف العمليات العسكرية في المعارك، وانما الحرب تنتهي بعد فاصل المفاوضات الذي يعقب - حتما - هذه العمليات.

وتتأثر هذه المفاوضات تماماً بالأوضاع العسكرية التي تنتهي اليها المعارك، بل لانبالغ ان قلنا، ان هذه

المفاوضات تتم لتقنين هذه الأوضاع العسكرية في صورة وثائقية، ولهذا يحرص عباقرة القواد على الاحتياط لهذه المرحلة بانتهاج الخطة التي تكفل لقواتهم الخروج من المعارك بصورة متوازنة، فهذا التوازن، هو الضمانة الحقيقية لكسب مرحلة المفاوضات التي تنتهي بها الحرب.

وليست هناك صورة مطلقة للتوازن الذي نرجوه لقواتنا بعد انتهاء المعارك، فالتوازن المستهدف غالباً ما يكون نسبيا، يقوم القادة بالتخطيط له في اطار من تخيلهم للتوازن المتوقع للقوات المعادية، لأن من البداهة، ان عدونا يحاول بدوره ان يخرج بقواته متوازنة من المعركة، اذ ان كلينا ولاشك، يعلم ان معركة التوازن هذه هي المرآة الصادقة التي سنرى فيها معركة المفاوضات حتى قبل أن تبدأ الأخيرة.

ويمكن التدليل على تأثير معركة التوازن على معركة المفاوضات - حتى في مراحلها العسكرية البحتة - بما جرى في الاجتماعات الستة للجنة العسكرية المصرية الاسرائيلية المشتركة، والتي تمت في المدة من ٢٦/ ١٢/

١٩٧٣ وحتى ١/٩ /١٩٧٤ تحت اشراف الأمم المتحدة في مقرها بجنيف. ففي هذه المفاوضات حاول الجانب الأسرائيلي اقناع الوفد المصري أما بقبول فكرة الانسحاب المتبادل، واما بقبول فكرة الفاصل المحدود بين القوات بحيث لايزيد هذا الفاصل عن (٣ ـ ٤كم)، وقد سبب الجانب الاسرائيلي محاولته هذه بمحاولة ايهام الجانب المصري بأن انسحاب اسرائيل الى شرق القناة يعد تضحية استراتيجية كبيرة.

وقد كسب الوفد المصري معركة هذه الجزئية، حين رفض أن يبتلع الطعم الاسرائيلي، موضحاً للجانب الاسرائيلي ـ بغير مواربة ـ ان وضعه العسكري غرب القناة يعد وضعاً استراتيجياً سيئاً، ولااثر فيه للتوازن العسكري على الاطلاق بل انه لايمثل ـ ان مثل ـ الاعبئا عسكرياً واقتصادياً وسياسياً على اسرائيل، وبالطبع فقد انتهت المفاوضات ـ فيما بعد ـ الى قبول رأي الوفد المصري في هذه الجزئية، وانسحبت اسرائيل وحدها الى الشرق، بل وبمسافة كافية سمحت بمنطقة عازلة مناسبة بين القوات.

الفرع الثاني

الاعداد للحرب التقليدية

تمهيد :

يعتبر الاعداد للحرب التقليدية أمراً معقداً بالمقارنة للاعداد لحرب العصابات مثلا، صحيح ان الاعداد لحرب العصابات يعتبر أمراً شاقاً وخطرا كما سيمر بنا بعد حين الا ان هناك فرقاً كبيراً بين التعقيد والخطورة.

ويرجع التعقيد الذي يصاحب الاعداد للحرب التقليدية الى تعدد الجوانب التي لابد من تهيئة ايقاعها لينضبط مع ايقاع الحرب التي نخطط لها. فهناك الجبهة الداخلية، والجبهة السياسية، والجبهة الاعلامية، والجبهة الاقتصادية ولابد من اعداد كل هذه الجبهات باعتبار انها في مجموعها تشكل الجبهة العامة للحرب التقليدية.

وسنتناول فيما يلي اعداد كل جبهة من هذه الجبهات في مبحث مستقل.

المبحث الأول

اعداد الجبهة الداخلية

والجبهة الداخلية هي ذلك الشق المدني من الدولة وينتظم في هذا الشق كافة الأفراد المدنيين الذين يعملون في الأعمال غير العسكرية. وقديماً لم يكن لاعداد هؤلاء الأفراد أهمية تذكر، اذ لم يكن لهم في الحرب ناقة ولاجمل رغم ان الملوك في ذلك الوقت كانو يمثلون السلطتين المدنية والعسكرية معا.

وقد تطور الأمر الى النقيض من ذلك بعد انفصال السلطتين المدنية والعسكرية، خصوصاً وان السيطرة في أغلب الأحوال كانت للأولى (المدنية) لالثانية (العسكرية).

فحينما كان الملك يتولى وحده السلطتين معاً، وكانت الحرب لاتقوم ـ في حقيقة أمرها ـ الا من أجل المليك المفدى، لم يكن مهما الا اعداد النبلاء المقربين وأتباعهم المحاربين الذين كان حشدهم يتم على أسس شخصية. وعوامل محلية قلما تجاوزتها أهداف الحرب نفسها.

وأما حين انفصلت السلطتان، وبدأت الأماني الشعبية تفرض نفسها على أهداف الحرب، فلم يعد من الممكن خوض الحروب الا بعد اعداد الشعب لها اعداداً يؤهله لأن يكون أميناً على ظهر الطلائع العسكرية المحاربة في الميدان لتكون هذه الطلائع بدورها أمينة على أمانيه الشعبيه المستهدفة من الحرب. ولهذا صار من الواجب اعداد الجبهة الداخلية وهو الأمر الذي يتحقق بثلاثة أمور هما:

١ ـ بلورة الأماني الشعبية.

٢ ـ اعداد الغرف اللازمة لادارة العمليات المدنية.

٣ ـ تكوين فصائل المقاومة الشعبية والدفاع المدني.

ونشير فيما يلي الى معنى كل أمر من هذه الأمور.

أولا

بلورة الأماني الشعبية

ويقصد بذلك، تحديد هذه الأماني، وتبويبها تبويباً زمنياً يتناسب والامكانيات القائمة والمنتظرة ثم ضبط انفراج هذه الأماني ليتوازى انفراجها مع الامكانيات المتاحة بالفعل وذلك تجنباً لاضاعة الممكن في طلب المستحيل.

فالملاحظ دوماً ان الأماني الشعبية تتجاوز في حدودها العليا القدرات الواقعية للخطة التي تستلهم فيها الأماني الشعبية، ولاغرو فالأماني الشعبية تتغذى من العوامل العاطفية أكثر مما تتغذى من العوامل الواقعية، ولاضير، فهذا أساس الأمل واستمراره لدى الشعوب. الاان الضير كل الضير أن نخلط بين الواقع والمأمول اذ يؤدي بنا ذلك لاالى أن نفقد واقعنا فقط بل والى أن نفقد آمالنا كذلك. ولهذا يعمد القادة الملهمون الى المكافأة بين الأماني الشعبية والقدرات الواقعية

لدولتهم تجنباً للخلط بين الواقع والمأمول، أو الحقيقة وأشباه الخيال.

ثانياً

اعداد غرف العمليات المدنية

وتنقسم هذه الغرف نوعياً الى قسمين: غرفة رئيسية ترتبط ارتباطاً مباشرا بكل من قيادة القوات المسلحة والقيادة السياسية العليا. ومجموعة أخرى من الغرف بكل وزارة ومرفق، ومحافظة ومدينة، وتخضع هذه الغرف جميعاً للغرفة الرئيسية الأولى بالأسلوب التدريجي المعروف.

وبالطبع يوجد لكل غرفة من هذه الغرف غرفة اخرى تبادلية تستخدم عند اللزوم.

وتقوم هذه الغرف كل في مكانها بالسيطرة على فصائل المقاومة الشعبية، وتوجيه الدفاع المدني ليستطيع حماية المنشآت الحيوية، مثل منشآت الري والصرف

والمياة والمجاري والكهرباء والسكك الحديدية، فضلاً عن المعاونة على استمرار هذه المنشآت فيما لو تعطلت بفعل فاعل.

ثالثاً

تكوين فصائل المقامومة الشعبية والدفاع المدني

وتتكون فصائل المقاومة الشعبية ممن فاتهم أو لم يصبهم الدور للالتحاق بالقوات النظامية، حيث يلحق هؤلاء الأفراد بتنظيمات شبه عسكرية تتولى تدريبهم على اعمال المقاومة الشعبية مثل: مقاومة الهابطين بالمظلات، والكشف عن الجواسيس والعملاء، وتقديم المعاونة للقوات النظامية.

وأما فصائل الدفاع المدني فتتكون من كل القادرين على أعمال الدفاع المدني المتعلقة بانشاء المخابىء، واطفاء الحرائق، واسعاف الجرحى، وقيادة المواطنين عند الغارات، بل وحتى حياكة الملابس العسكرية المطلوبة للمحاربين.

المبحث الثاني

اعداد الجبهة السياسية

فالحرب الناجحة محصلة أمرين: اعداد سياسي جيد، وخطة عسكرية متقنة. ويعتمد الاعداد السياسي أول ما يعتمد على تهذيب أهداف الحرب لتكون متوافقة مع القانون الدولي العام، فهذا التوافق بين أهداف الحرب وبين القانون الدولي العام هو الأساس الذي تستند اليه الدول المحاربة حين تنادي بحقها في الحرب، كما انه طريقها الواسع للحصول على تأييد الغالبية العظمى من دول العالم، فكما انه لاقيمة لحق لاتحميه القوة، فانه لاقيمة لقوة تتجه الى غير حق، ولايغرنا في هذا تقلب بعض الغاشمين في بعض البلاد فمثل هذا مصيره الى زوال، اذ لو يصح الا الصحيح ولو بعد حين.

وبعد أن تثق الدول في مشروعية أهدافها، فانها تتجه الى المحافل الدولية حيث تقوم بعرض قضيتها

هناك، قاصدة بذلك اظهار مالها من حق، وما عليه عـدوها من بـاطل، اذ بـذلك تـزداد قوتهـا بـازديـاد المؤيدين، وتنقص قوة عدوها بانصراف المشايعين.

وتعتبـر هذه المـرحلة من أهم مـراحـل الاعـداد السياسي للحرب، فيها تحفز الدولة المحاربة كل الهمم الدولية حتى تمارس الضغط المطلوب على العدو قبـل وبعد المعركة معه. وبقدر ما تنجح الدولة في عرض قضيتها، وفي كسب المؤيدين لها، بقدر ما ستجني - فيما بعد - ثماراً طيبة للحرب التي ستخوضها.

ولا تكتفي - الـدول في مجـال الاعـــداد السـايسي للحرب - بتلقي البركات من غالبيـة الدول، بـل انها تقوم بعد ذلك بتصنيف هذه الدول لتخرج من بينها الدول التي تتعدى مرحلة التأييد الرسمي الى مرحلة التحالف. فلكل دولة حلفاؤهـا، سواء تـدنى هؤلاء الحلفاء الى مرحلة التأييد الشعبي والرسمي، ارتفعوا الى مرحلة الاشتراك في العمليات العسكرية.

والـدول المـاهـرة هي التي تعـد هؤلاء الحلفـــاء بأسلوب مدروس ليكونوا سنـدها وعمقهـا حين يبـدأ القتال.

وليست هنـاك وسيلة واحدة لاعـداد كل هؤلاء المتحالفين فدول التأييد الرسمي والشعبي لابد لها من عدد كاف من الديبلوماسيين والاعلاميين المهرة الذين يعرفون طريقهم لتنمية واستثمار هذا التأييد، وأما دول العمق المكاني والتسليحي والاقتصادي، فلابد لها من لجان متخصصة تعـرف كيف تسيل المـاء في القنوات الجافة، وأما الحلفاء المقاتلون فيتم التنسيق معهم على أعـلى مستويـات التنسيق حتى نضمن لأنفسنا ايقـاعاً موافقاً في العمليات العسكرية يخدم في نهاية الأمر هدفنا الاستراتيجي العام.

المبحث الثالث

اعداد الجبهة الاقتصادية

وقد تعاظمت أهميـة هذه الجبهـة بظهـور الدول التدخلية واضطرار - حتى الدول اللاتدخلية - الى التدخل في كـافة المجـالات الاقتصاديـة والاجتماعيـة، وذلك لضمان حل المشكلة الاقتصادية (نسبة الكثافة السكانية

الى نسبة الموارد الاستـراتيجية) والمشكلة الاجتمـاعية (نسبة التكافل الاجتماعي المطلوب الى نسبة العمالة المنتجة) .

ويعبـر عن اعداد الجبهـة الاقتصـاديـة بتحـويـل الاقتصاد من مدني الى حربي، ويتم ذلك بوسائل عدة منها توجيه معظم الموارد للمجهود الحربي بما يعينه ذلك من تعطيل جزئي لبعض الخطط الاقتصادية المـدنية. وكذلك توجيه السيـاسات المـالية والسعـرية والنقـدية والادخـارية لتخـدم من الانتـاج الى الانتـاج الحـربي المبـاشر، وكـذا الحد من الاستهـلاك وبناء المخـزون الاستراتيجي اللازم .

وبالاضافة الى هذا يتم وضع الوسائل الاقتصادية اللازمة لتجاوز أثر الحرب على الميزان التجاري نظراً لما سيصاحب الحرب من إنخفاض في الصادرات وزيادة في الـواردات. وأثرهـا على النفـوس العاملة، نـظراً لما سيصاحب الحرب من امتصاص جانب كبير من العمالة والخبرات والمهارات لصالح الأغراض العسكرية، وأثرها على الدخل العام، لما سيصاحب الحرب من تأثير على قطاع الخدمات من نقل ومواصلات وسياحة . . إلخ . .

المبحث الرابع

اعداد الجبهة الاعلامية

والتأكيد على أهمية هذه الجبهة وانها أحد ركائـز الحرب الناجحة، قد صار من تافلة القول الآن.

وأول الطريق لأعداد هذه الجبهة هو اعداد الكوادر الاعلامية الحرفية، فهذه الكوادر المؤهلة والواعية هي العنصر الحي الذي يحيل الأجهزة والسياسات الاعلامية الى واقع حي مثر.

ثم يأتي بعد ذلك دور الأجهزة الاعلامية، وهي على نوعين رئيسيين: أجهزة الكلمة المقروءة، وأجهزة الكلمة المسموعة.

ويتم التعبير عن الكلمة المقـروءة بوسـائل عـدة تنقلب من البسيط الى المـركب حين ننتقـل من حيز النشـرات والكتيبـات الى حيـز الكتب والـصحـف والمجلات المحلية والعالمية.

وأما التعبير عن الكلمة المسموعة فيتم بطرق عدة من مثل: الاذاعة، مرئية وغير مرئية، والأفلام التسجيلية التي تبثها قوافل الاستعلامات مصحوبة بشرح سياسي واف، والندوات والمحاضرات واللقاءات السياسية التي تنظمها وسائل الثقافة الجماهيرية والتقيف السياسي، وأخيراً فهناك المسرح السياسي أو الوطني الذي يتعاظم دوره في زمن الحرب خصوصاً اذا كان مرتكزاً على أصول دينية كالمسرح الاسلامي في مصر وبعض البلاد الاسلامية.

وتعتبر هذه الأجهزة المختلفة وسيلة مماثلة للأجهزة الديبلوماسية ولكن في المجال الاعلامي، فانه اذا كان مجال الديبلوماسية هو الأشخاص الرسميون وأصحاب القرار فإن مجال الأجهزة الاعلامية هو قطاعات الرأي العام والمراكز المؤثرة على صناع القرار، فالمعنى واحد وان اختلف المجال.

ولاقيمة لهذه الأجهزة مالم تتبع سياسة اعلامية ناجحة، لاتلتزم، ان التزمت، الا بالواقعية، وعرض الحقائق، فلم يعد ممكناً اخفاء الحقيقة الآن كما ان

الناس لم يعودوا يقبلون التلون بأذواق النفعيين الذين يجيدون فن الاعلان لاالاعلام.

وحين تقوم الدولة على استكفاء الكوادر الاعلامية، والأجهزة التعبيرية، والسياسات السليمة، فانها تضمن لمقاتليها، اذ يحاربون، ظهراً محمياً من الاشاعات الفتاكة والآراء الهدامة التي تبثها اجهزة الحرب النفسية المعادية طوال فترة الحرب.



الفصل الثاني

حرب العصابات



تمهيد :

تعرف حرب العصابات بـأنها شكل خـاص من أشكال القتال يدور بين قوات نظامية، وبين تشكيلات مسلحة تعمل في سبيل مبدأ أوعقيدة بالاعتمـاد على الشعب أو جانب منه، وتستهدف تهيئة الظروف الكفيلة باظهار هذا المبدأ أو هذه العقيدة الى حيز التطبيق.

وقد بدأ تبلور حرب العصابات بهذا المعنى على يد الأسبان الذين شكلوا من بينهم عصابات مسلحة لمقاومة نابليون وازعاجه وانهاكه بعد هزيمة قواتهم النظامية على يديه. وقد ساهمت هذه العصابات الأسبانيـة فيما بعـد مساهمة ملموسة في معاونة ويلنجتون حين دخل بقواته النظامية ضد نابليون في المعركة المعروفة باسم معركة واترلو عام ١٨١٥.

وحـرب العصابـات بهذا المعنى الـذي أوضحنـاه

تختلف عن صور أخرى قد تشتبه معها من مثل الحرب الاهليـة، والمقـاومـة الشعبيـة، والثــورة، والعصيـان والتمرد.

فالحرب الأهلية هي تلك التي تنشأ بين مجموعتين أو مجموعات متكافئة تمت لبلد واحد.

وأما المقاومة الشعبية فهي نوع من الدفاع التلقائي غير المنظم يلجأ اليه الشعب عاطفياً لمقاومة قوات محتلة أو آخذة في الاحتلال، ودون ان ينتهج الشعب في ذلك تنظيماً سياسياً معيناً.

واما الثـورة فهي حــادث سيـاسي جلل يقلب الأوضـاع في دولة معينـة ليرتفـع بمستوى الـواقع الى مستوى الآمال الوطنية.

أما العصيان والتمرد فهما هبة مسلحة تتقرر نتيجتها بسرعة.

وهذه ولاشك نماذج لاعلاقة لها بحرب العصابات التي نتحدث عنها، والتي يعتبر ماوتسي تونج أول من وضع قوانينها الاستراتيجية في العصر الحديث، بحيث

صارت بهذه القوانين ظاهرة من ظواهر الحرب تعادل في أهميتها وخطورتها أنواع الحروب الأخرى.

وللتدليل على أهمية هذا النوع من الحروب، نذكر بالنتائج التي حققتها العصابات الصينية ضد الغزاة اليابانيين، والسوفيتية ضد الألمانيين، والجزائرية ضد الفرنسيين، والفيتنامية ضد الفرنسيين ثم الأمريكيين، وأخيراً قوات حركة موختي باهيتي في بنجالديش ضد القوات الباكستانية.

بل انه ليس أدل على أهمية هذا النوع من الحروب، من أن دولا كالولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا الأتحادية، وفرنسا، قد استفادت من فكرته بانشاء قوات تنهج أسلوب رجال العصابات بالرغم مما تملكه هذه الدول من أمكانات التعبئة النظامية.

وعلى أية حال، فسوف نقطع تماماً باهمية هذا النوع من الحروب اذا ما استيقنا انها ليست صورة مصغرة للحرب التقليدية، وانما هي حروب مختلفة تماماً في قوانينها ومبادئها وكيفية الاعداد لها، وهو ما سيتضح من دراستنا لعناصر هذه الحرب وكيفية الاعداد لها في الفرعين التالين:

الفرع الأول

عناصر حرب العصابات

وسنعمد هنا الى محاكاة الدراسة في الحرب التقليدية دون أن ينسينا هذا الاختلاف البين في معطيات العناصر في كل من الحربين.

ولعل منشأ هذه المحاكاة ان الحروب مهما تنوعت انما ترتكز على أربعة عناصر هي: الاستراتيجية التي تتعلق بمجمل عملياتها، والتكتيك الذي يتعلق بأسلوب تنفيذ العمليات في المعارك المختلفة، والتقدم العلمي الذي يحسم كثيراً من مواقفها، وأخيراً الخطة التي هي في حقيقة أمرها، توظيف للعناصر الثلاثة السابقة في زمان ومكان بعينهما.

ونتناول فيما يلي كل عنصر من هذه العناصر في مبحث مستقل.

المبحث الأول

الاستراتيجية في حرب العصابات

ولما كانت الاستراتيجية تتأثر بالواقع سلباً وايجاباً، وكان الواقع في حرب العصابات يبدأ بمجموعة صغيرة تؤمن بمبدأ أو عقيدة. فليس لهذه المجموعة الا أن تتسلح بمبادىء استراتيجية معينة تتيح لها التأمين والنماء حتى تأتي اللحظة التي تستيطيع فيها حسم الحرب لصالحها، وهذه المبادىء الاستراتيجية هي:

١ ـ العمل من خلال تنظيم عقائدي.
٢ ـ تجنب الحسم العسكري.
٣ ـ الحرص على الحسم السياسي.
٤ ـ المرحلية.
٥ ـ الحرص على التأييد الشعبي.
٦ ـ العمل على الفوز بالتأييد الدولي المناسب.

ونتناول فيما يلي كل مبدأ من هذه المبادىء.

المبدأ الأول

العمل من خلال تنظيم عقائدي

فأول مبدأ من مبادىء الاستراتيجية في حرب العصابات هو ادارة الحرب عن طريق تنظيم سياسي قائد، وقد مر بنا ـ من قبل ـ ان هذا هو الفارق بين حرب العصابات وغيرها من أنواع المقاومة الأخرى.

ولهذا المبدأ مجموعة من الأسباب أهمها: الطبيعة السياسية لحرب العصابات، وحاجة العصابات الى عنصر الالتزام، فضلاً عن اعتمادها التام على مركزية التخطيط.

فأما عن الطبيعة السياسية لحرب العصابات، فقد أوضحنا من قبل ان نواة هذه الحرب هي مجموعة من الرجال باعوا أنفسهم وأموالهم في سبيل مبدأ سياسي معين وليس من سبيل أمام هذه المجموعة الا الاعتماد على التوجيه والتثقيف السياسي لتواجه به التفوق المادي

المعادي، ولتقنع به رجالها بالتقشف والمثابرة والصمود والمقاومة.

وأما عن حاجة العصابات الى عنصر الالتزام، فقد ثبت أنه بدون هذا العنصر لايستطيع قادة العصابات أن يعملوا على جمع الشاردين، وكبح الجامحين، فضلاً عن تقديم المعاونة لمن يحتاج اليها من تشكيلات العصابات المنتشرة هنا وهناك. والطريق الوحيد هو خضوعهم لتنظيم عقائدي قائد، اذ لايملك رجال العصابات تلك الوسائل التي تمكن الجيوش النظامية من فرض الطاعة بأسلوب الضبط والربط القهري

وأما عن اعتماد العصابات التام على مركزية التخطيط فأساسه ضمان الفعالية، اذ في مثل حرب كحرب العصابات، يتأتى النصر الكبير من آلاف من الانتصارات الصغيرة، ولايمكن تحقيق الفعالية لهذه العمليات الصغيرة المتعددة الا اذا كانت جميعها موظفة - بتخطيط مركزي واع - لخدمة الهدف النهائي للحرب. ولايمكن ضمان المركزية في التخطيط الا اذا خضع الجميع لتنظيم عقائدي قائد.

ولايختلف المعنى المقصود بالتنظيم العقائدي عن المعنى المشهور للحزب السياسي الا من ناحية الوسائل فقط، فبينما يتشابهان في كونهما جماعة متحدة من الأفراد تعمل للفوز بالحكم بقصد تنفيذ برنامج سياسي معين، فأنهما يختلفان في الوسائل المتبعة لتحقيق هذا الهدف، حيث تنتهج الأحزاب السياسية الوسائل الديمقراطية، بينما يرى رجال العصابات الا جدوى الا بالاعتماد على الوسائل العسكرية. ولعل منشأ هذا الاختلاف في الوسائل راجع الى أن نظام الحزب السياسي يعتبر وليداً للأنظمة النيابية، وفي هذه الأنظمة يمكن مواجهة التحديات السياسية بالوسائل الديمقراطية، بينما التنظيم العقائدي في حرب العصابات يعد وليداً لنقلة سياسية بعيدة يراد لها أن تكون، وهو مالايمكن تحقيقه الا باشتراك الوسائل العسكرية بالطبع.

المبدأ الثاني

تجنب الحسم العسكري

ويقصد بهذا المبدأ تجنب العمل على كسب الحرب

بالوسائل العسكرية البحتة، فهذا الأسلوب فضلاً عن أنه أكبر من طاقة رجال العصابات. فانه لايتفق وطبيعة هذه الحرب. فحرب العصابات هي حرب السياسة في مواجهة القوة، حرب الالتزام العقائدي في مواجهة التجنيد الأجباري، أي أنها حرب الأضعف في مواجهة الأقوى مادياً، ولاسبيل مع هذا الواقع الا اذا تجنبنا الحسم العسكري واستبدلناه بالحسم السياسي على ما سيجيء.

ولتجنب الحسم العسكري يعمد رجال العصابات الى اطالة أمد الحرب بأي ثمن، ولو أدى ذلك الى التراجع المكاني اذ لايهم هذا التراجع المكاني مادامت الرقعة السياسية تزداد يوماً بعد يوم.

ولاطالة أمد الحرب، ينتهج رجال العصابات عقيدة « الحركية » من الناحية العسكرية، وتعني هذه العقيدة الديناميكية الدائمة، فضلاً عن الفعالية والمبادرة وسرعة اتخاذ القرار في مواجهة الأوضاع المتغيرة. بحيث تظل الحرب سائرة الى الأمام دوماً. فعقيدة الحركية تعني بالنسبة لرجال العصابات الحماية التامة من الفتور وفقدان الحماسة فتزداد قواتهم وقوتهم كل يوم، بينما

تعني بالنسبة لعدوهم اليأس الكامل من هذه الحرب التي لاتريد أن تتوقف ولايبدو لها نهاية ما. وهنا لابد أن يعمل عدوهم على التخلص من هذه الحرب حماية لنفسه من الانتحار السياسي.

وقد تبدو استراتيجية بث اليأس في نفس العدو نوعا من الترف بالنسبة للعسكريين النظاميين، اذ لايعرف هؤلاء الا احدى استراتيجيتين، هما استراتيجيتا الحسم والردع. وتعتمد الأولى على قتال العدو حتى تدميره. بينما تعتمد الثانية على ايجاد القوة الكافية لأرهاب العدو ومنعه من التفكير في الحرب.

وهاتان الاستراتيجيتان وان كانتا تناسبان الجيوش النظامية وما تملكه من امكانات التعبئة الأدارية، الا انهما لاتناسبان قدرات رجال العصابات كما لايخفى.

المبدأ الثالث

الحرص على الحسم السياسي

وبينما ينبذ رجال العصابات فكرة الحسم

العسكري، ولايرون الحلول النابعة منها الا حلولا نابعة من فقدان الصبر وتعجل الواقع، فانهم يحرصون تماما على الحسم السياسي، ويستخدمون في سبيله كل وسائلهم المتاحة.

ويعني هذا المبدأ مداومة الضغط السياسي على العدو حتى لايجد مفرا من التسليم بمطالب العصابات السياسية.

وتنحصر مبررات هذا المبدأ في تسليم رجال العصابات بعدم جدوى الوسائل العسكرية وحدها، فضلا عن اقتناعهم التام بأنهم لايحاربون من أجل غزو مادي، وانما من أجل تحرير سياسي وفتح عقائدي، ولهذا فان الحرب بالنسبة لهم تنتهي مع العدو حالما يسلم لهم بأهدافهم السياسية، ويترك لهم حرية العمل على نشرها وتطبيقها.

وأما وسائل تحقيق هذا المبدأ، فأولها تحليل الموقف السياسي العام بدقة، وتحديد عوامل الأيجاب والسلب فيه، ثم العمل على توظيف العوامل الايجابية وتحييد العوامل السلبية لخدمة الأهداف السياسية المطلوبة.

ويـراعى في تحليل المـوقف السياسي دراسـة الأوضاع السياسية المحلية والدولية، كما تدخل في دراسة العوامل السياسية المحلية **والـدولية** كما تدخل في دراسة العـوامل السياسية الايجابية والسلبية دراسة العقائد السياسية لدى كل من الطرفـين، وكذا دراسـة مدى ايمـان الأنصار خاصة، والشعب عامة، بهذه العقائد السياسية، فضلا عن مدى تحالف هذه العقائـد مع كـل من المستقبل وقواعد اللعبة الدولية. فالاضافة الى مدى استعداد كل طـرف للصمود في سبيلهـا ومن أجلهـا أطـول مـدة مطلوبة.

المبدأ الرابع

المرحلية

فحرب العصابات تنقسم من الناحية الاستراتيجية الى ثـلاث مراحـل هي: المرحلة الـدفاعيـة البحتـة، ومرحلة التوازن، ومرحلة الحسم السياسي.

وتبدأ المرحلة الدفاعية من اللحظة التي يقوم فيها رجال العصابات بتشكيل الجماعات المسلحة، وتستمر طالما كان عدد الرجال قليلا، وطالما كان التأييد الشعبي لايزيد عن نواة في صدور بعض المشايعين.

وسر تسمية هذه المرحلة بالدفاعية البحتة ان الطابع العام للعمليات في هذه المرحلة يكون هو الدفاع ضد ضربات القوات النظامية التي ستقوم بها ضد رجال العصابات فور الاحساس بوجود تنظيمهم العصابي المعاكس.

ويحرص رجال العصابات في هذه المرحلة على الصمود أطول مدة ممكنة، اذ ان هذا الصمود هو طريقهم الى تنمية التأييد الشعبي، وزيادة التشكيلات المسلحة التي تأتمر بأوامرهم.

واما مرحلة التوازن فهي تلك المرحلة التي تبدأ بتوفر العدد الكافي من التشكيلات القادرة على مبادلة العدو بالضربات، وتنتهي بوصول العدو الى درجة التجمد.

ويستهدف رجال العصابات من هذه المرحلة تنشيط المعارضة السياسية في مواجهة الحكومة العادية، إذ يؤدي تنشيط هذه المعارضة الى ارهاق هذه الحكومة في إيجاد التبرير الكافي للاستمرار في هذه الحرب التي تتزايد أعباؤ ها المالية يوماً بعد يوم كما تتزايد خسائرها البشرية بغير ما نتيجة تبدو في الأفق، وحين ترى هذه الحكومة انها عاجزة عن تبرير الاستمررار في مثل هذه الحرب، وبالتالي آخذة في الانتحار سياسياً امام معارضيها فإنها لا بد أن تصدر لقواتها الأمر بالتجمد.

وطريق العصابات لتحقيق النتيجة المرجوة من هذه المرحلة هو القيام بالهجمات اليومية القاسية التي تجبر العدو على تشتيت قواته على طول المواجهات الواسعة، والأعراض النائية، كما تجبره على زيادة تعبئة موارده في بئر مسحور.

وأما المرحلة الثالثة، مرحلة الهجوم العـام المضاد والحسم السياسي، فهي تلك المرحلة التي تبدأ بوصول العصابات الى مرحلة تستطيع فيها تشكيل قوات نظامية قادرة على خوض حرب المواقع. فبهذه النواة النظامية يعمد رجال العصابات الى شن معركة عسكرية ذات

تأثير معنوي فاصل لأجبار العدو على انهاء الحرب لصالحهم.

وتعتبر هذه المرحلة الأخيرة من أهم مراحل حرب العصابات، فبعد أن تنتهي الكباش في مرحلة التوازن الى التناطح الواقف المتجمد، لابد من حركة سريعة وقوية يقوم بها رجال العصابات للايقاع بالعدو الذي أنهكه التعب وأرهقه حتى وصل الى مرحلة التجمد.

وهذه المراحل الثلاث، وان كانت ملحوظة في كل حرب للعصابات، الا ان الواقع المتشابك لايسير دائما بهذا التبسيط النظري السهل. ولهذا يحرص رجال العصابات على التمسك بالمرونة التامة لمواجهة الواقع المتشابك وتحويله لصالحهم، فمثلا اذا استطاع العدو ان يكسر هجوم العصابات العام في مرحلة الحسم فان رجال العصابات يعودون من فورهم الى مرحلة التوازن، واذا استطاع العدو ان يعاود نشاطه بدفعة جديدة رغم توقفه في مرحلة التجمد فان رجال العصابات يعودون فورا الى المرحلة الدفاعية البحتة، وهكذا حتى يقتنع العدو بأنه أمام حرب لانهاية لها الا

اذا تنازل عن عناده السياسي، وسلم لرجال العصابات بمطالبهم..

المبدأ الخامس

الحرص على التأييد الشعبي

وبالنسبة للتأييد الشعبي، فلا يمكن لحرب العصابات أن تقوم ضد ارادة شعبية، أو حتى في ظل لامبالاة شعبية فالتأييد الشعبي هو الحليف الطبيعي لقوات العصابات، ولهذا أجمع مفكرو العصابات على ضرورة الحصول على المساندة الشعبية حتى تنجح حرب العصابات.

وأساس هذا المبدأ أمران: أولهما، احتياج العصابات الى هذا التأييد الشعبي لتعويض التفوق المادي المعادي، اذ يتيح هذا التأييد - فضلا عن امكانية النماء - الاندساس والتخفي بين السكان المحليين،

والحصول منهم على المؤن اللازمة للاستمرار. وثانيهما، ان حرب العصابات ـ كما أوضحنا في حينه ـ تعتبر حرباً سياسية يسعى بها رجالها لتنفيذ برنامج سياسي معين، وجميع البرامج السياسية ـ كما هو معروف ـ تحتاج بجوار القيادة والحزب السياسي الى قاعدة شعبية عريضة ينفذ بها ومن أجلها البرنامج السياسي الموضوع.

وطريق العصابات للحصول على التأييد الشعبي معروف، وينجح بأمرين:

١ ـ المعرفة الأفضل بالشعب: طبيعته، قيمه، حاجاته الأساسية، دواعي سخطه، ثم توظيف كل ذلك للحصول على تأييده.

٢ ـ انتهاج المبدأ السياسي الذي يلقى ـ في لوحته العامة على الأقل ـ قبولا من القاعدة العريضة للشعب.

المبدأ السادس

العمل على الفوز بالتأييد الدولي المناسب

فلابد لرجال العصابات من تأييد دولي مناسب

يتيح لهم التمتع بعمق سياسي أرحب، كما يتيح لهم التطلع الى مستقبل أفضل. خصوصاً واننا نفترض ان رجال العصابات يحاربون عدوا ينتظم رجاله في دولة، وهذه الدولة لابد أن تستجيب لرجال العصابات اذا ما أحسن الضغط عليها بواسطة الدول الأخرى.

وللحصول على التأييد الدولي، يعمد رجال العصابات الى وسائل متنوعة، مثل: انشاء حكومة مؤقتة، أو فتح مكاتب سياسية في الدول المختلفة، فضلا عن استدرار العطف والتأييد في المحافل الدولية المتعددة.

ومن العصابات التي انتهجت أسلوب الحكومة المؤقتة العصابات الجزائرية والفيتنامية، كما ان هذه العصابات نفسها كانت قد فتحت لنفسها مكاتب متعددة، وحولتها فيما بعد الى سفارات لها في الدول التي وافقت على فتحها لديها.

ويعتبر اعتراف الدول المختلفة بمشروعية الأهداف التي يسعى اليها رجال العصابات، فضلا عن حقهم في العيش في ظلها، مطمعا يسعى اليه رجال العصابات بهمة لاتعرف الكلل.

المبحث الثاني

التكتيك في حرب العصابات

ويتخذ التكتيك في حرب العصابات شكلين رئيسيين، هما الكمين والاغارة، ورغم تباين الكمين والاغارة في بعض التفصيلات الفنية، الا ان كلا منهما يخضع لقواعد عامة لابد من مراعاتها في تكتيك العاصابات أيا كان الشكل المتخذ فيه.

وسنشير فيما يلي الى القواعد العامة التي تحكم تكتيك العصابات ثم نتناول بعد ذلك كلا من الكمين والاغارة.

أولا: القواعد العامة التي تحكم تكتيك العصابات

وهذه القواعد هي:

ـ الهدف التكتيكي هو المقاومة لاتحقيق النصر، ولهذا يجب ترك العناد والاصرار الا عند عدم التمكن من الفرار فحسب، ولهذا قال ماوتسي تونج: «على رجال العصابات أن يكونوا خبراء في الفرار».

ـ يجب الحذر دائما من حصار العدو، والتملص فوراً من القتال عند بادرة ذلك.

ـ يراعى في الهجوم الحذر التام، مع مراعاة الضجة في الشرق والهجوم في الغرب.

ـ يجب الاعتماد التام على التخفي بالاندساس والاختلاط بالسكان المحليين.

ـ يجب أن تكون قواعد الانطلاق محصنة تحصينا طبيعيا، ومجهزة هندسيا للدفاع عنها عند اللزوم، كما يجب فضلا عن ذلك أن تكون متمتعة بممرات خفية سهلة للفرار.

ـ يراعى عدم ترك أية آثار عند الانتقال أو التوقف للراحات.

ـ يجب القيام ببث قواعد صغيرة حسنة الاخفاء

حول منطقة الأهداف قبل الهجوم عليها حتى يمكن استخدام هذه القواعد في اخفاء المصابين توطئة لنقلهم الى مناطق أكثر أمناً.

- تحل مسائل الاعاشة والذخيرة باستخدام مخازن صغيرة مخفاة لايعرف طريقها الا عدد محدود، وتوضع المواد المطلوب تخزينها في أوعية من البلاستيك أو الصفيح أو الزجاج حتى لايفسد بالمياه والرطوبة.

- يراعى السرية التامة، فخطط التحرك، وقواعد الانطلاق الفرعية والتبادلية، فضلا عن الرئيسية بالطبع، لايجب ان يعرفها الا نفر قليل.

- يراعى تجنب النمطية والتكرار عند تنفيذ العمليات التكتيكية المختلفة.

- الاندفاع والتهور مرفوضان تماما في تكتيك العصابات.

- المفاجأة والسرعة والحسم، أمور مهمة في تكتيك العصابات.

- يفضل مهاجمة العدو وهو في حالة التحرك، لسهولة الايقاع به في هذه الحالة.

ـ يفضل الهجوم على المنشآت المنعزلة لأثرها السيكلوجي، فضلا عما تؤدي اليه من اجبار العدو على الانتشار وتوزيع قواته، بالاضافة الى توفر المؤن والسلاح بها بكميات كبيرة نسبيا.

ـ يجب سحب أسلحة ووثائق القتلى من رجال العصابات.

ـ يجب أن يعتمد رجال العصابات على جهودهم الذاتية للتعيش، فيتفرقون للحياة ويجتمعون للقتال.

ثانيا: الكمين

والكمين ـ كتكتيك قتالي ـ تعرفه القوات النظامية كذلك، بل وتستخدمه القوات الخاصة بكثرة في الجيوش النظامية وذلك بغرض الحصول على أسير أو وثائق.

ولايختلف الكمين سواء لدى رجال العصابات أو لدى القوات النظامية في أسسه الفنية، الا أن الكمين عند رجال العصابات ينفرد بميزات معينة أهمها،

الاعتماد على الدعم المحلي للسكان في الأخفاء والتمويه والانسحاب وتكديس الأسلحة والمعدات المطلوبة، وكذا تعويض الامكانيات المادية المطلوبة بالروح المعنوية العالية والذكاء المحلي.

ويقصد بالكمين، الاختفاء في موقع جيد ينتظر تقدم العدو تحت سيطرته، حيث تقتحمه قوات الكمين بغرض ابادة العدو أو الحصول منه على أسرى أو وثائق أو أسلحة أو معدات، فضلا عن ازعاج العدو واثارته وارهابه بالطبع.

ولنجاح الكمين بهذا المعنى، تعمد قوات العصابات الى تقسيم الكمين الى ثلاث مجموعات، هي مجموعات الملاحظة، والاقتحام، والوقاية وستر الانسحاب.

ويرى أرنستو شي جيفارا ان من الممكن أن يتم الكمين بطريقة أخرى سماها هو « الرقصة الموسيقية » وفيها ينقسم رجال الكمين الى أربع مجموعات تحتل كل منها اتجاها جغرافيا معينا وتقبع فيه انتظارا للعدو. فاذا ما جاء العدو وتوسط هذه المجموعات عمدت احداها الى اطلاق النار عليه، فاذا ما هجم عليها: انسحبت

هي من أمامه بينما تطلق مجموعة أخرى النار عليه، وهكذا تتبادله المجموعات الأربع هجوماً وانسحاباً حتى تنهار روحه المعنوية ويتجمد في مكانه ثم يقع فريسة سهلة للكمين في النهاية.

ولايهم الوقت في تنفيذ هذه المناورة، فقد يكون ليلا أو نهارا، الا انه يراعي تقصير الأبعاد فيما لو نفذت هذه المناورة ليلا.

كما يرى كل من ماوتسي تونج، والجنرال نيجوين فوق جياب قائد جيش التحرير الفيتنامي - فيما سبق - ان من الممكن تنفيذ الكمين بطريقة مركبة يطوق فيها العدو مجموعة صغيرة ثم يكتشف بعد فوات الأوان انه كان خاضعاً لخدعة ماكرة حيث تكون مجموعات كبيرة قد طوقته هو أيضاً.

ولاتعليق لنا على هذه الطرق، فكلها صالحة للتطبيق اذا ما روعي فيها تجنب النمطية والتكرار والبلادة في التنفيذ.

ثالثا: الاغارة

والفارق الفني بين الكمين والاغارة يكمن في ان الكمين انتظار وترقب في موقع جيد، بينما الاغارة تقدم مدروس الى هدف مختار بعناية.

ففي الأغارة تتقدم القوة المغيرة مراعية الاختفاء التام على طريق تقدمها نحو الهدف المختار من قبل، ثم تقوم هذه القوة باقتحام هذا الهدف بالأسلوب الذي يناسب المعلومات عنه.

وبالطبع فان الهدف العام لكل اغارة، هو ازعاج العدو وارهاقه وارهابه، الا أن لكل اغارة أهدافاً خاصة أخرى قد تكون الحصول على الأسرى أو الوثائق أو الأسلحة أو المؤن أو المعدات أو حتى مجرد تدمير الغرض المستهدف ونسفه.

وجدير بالذكر ان الانسحاب في الاغارة يعتبر من أهم مراحلها، فالعدو لن يبخل بالمطاردة اللازمة اذا ما تيسرت له طرقها، بينما لاتتمتع القوة المغيرة بأي ستارات من النيران الثقيلة لأن هذا البذخ لايتوافر لرجال العصابات غالبا، ولهذا يعمد رجال العصابات

الى تعـويض ذلك بـالانسحـاب من الـطرق الـوعـرة الصعبة، مع تلغيم هذه الطرق بالأشراك الخداعية الصغيرة التي تعوق تقدم العدو خلف القوات المنسحبة.

وفي ختام الكمين والاغارة نذكر بأن كلا منهما قد يجري تنفيذه من قواعد مبثوثة بين تشكيلات العدو، كما قد يجري تنفيـذه بأسلوب التسـرب والانتشار داخـل خطوط العدو.

المبحث الثالث

التقدم العلمي

وبديهي ان رجال العصابات وقد ذكرنا من حالهم ما يدل على تواضعه التام، لايستـطيعون الى التقـدم العلمي سبيلا، فانى لهم البيئة العلمية التي تستـطيع تنمية واستثمار العقول العلمية؟ ان هذه البيئة تتطلب امكانيات يقصر عنها رجال العصابات، فالفقر والتقدم العلمي ضدان لايجتمعان بأدنى تأمل.

ورغم وضوح القاعدة السابقة في ذهن رجال العصابات، فانهم لايألون جهدا في التمتع بالتقدم العلمي وآثاره حتى ولو من قبيل اثبات الذات واراحة الضمير، ولهذا تراهم يتلهفون أيما تلهف الى الأدوات الفنية من مثل الراديو والرادار واللاسلكي والمواصلات الخطية لما تعطيه هذه الأدوات من امكانيات رحيبة في العمل الحربي.

بل ان رجال العصابات يحاولون تصنيع هذه الأدوات أو مثيلها بالامكانيات المحلية المتواضعة التي يملكونها. وفضلا عن ذلك فانهم يعمدون الى الذؤابة من اسلحة وأدوات العدو فيستولون عليها، اولا ليستفيدوا بها، وثانيا لاهانة جنود العدو واشعارهم بأنهم لايزيدون عن أن يكونوا حمالة لأعقد الأسلحة والمعدات.

وبالاضافة الى هذه الطرق، فان رجال العصابات يرحبون دائما بكل معاونة صديقة تتيح لهم تقليل الفجوة العلمية بينهم وبين عدوهم.

ويتضح مما تقدم ان عنصر التقدم العلمي يعد من

أضعف عناصر الحرب في حرب العصابات، الا أن المشاهد أن رجال العصابات لايبخلون في سبيل تعويضه بأي ثمن حتى ولو كان هذا الثمن هو الدم.

المبحث الرابع

الخطة في حرب العصابات

وقد أوضحنا من قبل ان الخطة العسكرية تعتمد على أركان أربعة، هي الهدف والطاقة، الأسلوب، والتوازن المطلوب في مرحلة المفاوضات.

ونتناول فيما يلي كل عنصر من هذه العناصر:

أولا: الهدف

ولحرب العصابات هدف واحد، هو الحصول على نصر سياسي كبير من آلاف من الانتصارات العسكرية الصغيرة فليس بوسع رجال العصابات أن يتجهوا

مباشرة الى مركز الثقل المعادي اذ أن امكانيتهم الواقعية تقصر دائما عن هذا البذخ.

ولايخفى رجال العصابات فكرتهم الاستراتيجية في هذا الهدف، فهم يرون ان هذا الهدف هو السبيل الممكن والوحيد لتعميق السلبيات التي تلحق بالجيوش الأدارية وتحييد الأيجابيات التي تتمتع بها. ويوضحون ذلك بقولهم ان الجيوش الأدارية ايجابيات أربع هي: القوة البشرية المدربة، والتسليح، والشئون الادارية والتنظيم. وسلبيات ثلاث هي: الوقت، والروح المعنوية، وموانع مسرح العمليات. ويرى رجال العصابات ان السبيل الى تحييد الأيجابيات وتعميق السلبيات هو الحرب الطويلة الأمد التي تعتمد على أسلوب اللدغات الصغيرة التي تكون في مجموعها جرحا غائرا في الجبهة السياسية للعدو.

ويتسلح رجال العصابات في سبيل تحقيق هدفهم السابق بالصبر التام، ولايقبلون مطلقاً أي اقتراحات تنبع من فقدان الصبر أو تعجل الحسم العسكري.

ثانيا: الطاقة

وبينما تحسب الطاقة في الجيوش الأدارية بطريقة مادية كما سبق (القوة البشرية المدربة+ التسليح+ الشئون الادارية+ التنظيم) ناقص (موانع مسرح العمليات+ طول الوقت+ الروح المعنوية المنخفضة) فان طاقة القوات في حرب العصابات تقاس بطريقة معنوية هي (الحافز السياسي+ التأييد الشعبي+ التأييد الدولي). ولهذا ففي وسع عدد محدود نسبياً من رجال العصابات ـ اذا ما تمتعوا بالحافز السياسي القوي، والتأييد الشعبي المناسب، والتأييد الخارجي الملموس ـ في وسعهم، أن يشنوا حربا للعصابات لاسبيل الى ايقافها أو هزيمتها، خصوصاً اذا ما تجاوزت المرحلة الدفاعية البحتة (مرحلة التشكيل)، وخصوصا اذا روعي في حسبان الطاقة استبعاد أصحاب الحماسة الهشة والرجال الذين من ورق، فضلا عن أخذ الخيانة والخونة في الحسبان.

ثالثا: الأسلوب

وبالنظر الى ان رجال العصابات يحسبون قوتهم بطريقة معنوية ـ كما سبق ـ كما انهم يقدرون لهذه القوة

أن تنمو وتتزايد مع استمرار المعارك، فانهم لذلك ينبذون تماما أسلوب المعارك الفاصلة التي تؤدي في النهاية الى مركز الثقل المعادي، ذلك ان هذا الاسلوب، وان كان متناسبا مع الحروب الادارية التي تتميز بتوفر الامكانيات المادية القتالية، الا انه لايتناسب مع حرب العصابات لكونها حربا معنوية لامادية، سياسية لاادارية، ولهذا يستبدل رجال العصابات أسلوب المعارك الفاصلة بأسلوب المعارك الصغيرة المتعددة التي [illegible] تماما عن العلاقة المتميزة بين الهجوم والدفاع في حرب العصابات، تلك العلاقة التي يشرحونها بقولهم: «ان حرب العصابات تخاض استراتيجيا بالدفاع وعلى الخطوط الخارجية، وتكتيكيا بالهجوم وعلى الخطوط الداخلية».

ويبرر رجال العصابات هذا الأسلوب بالمبررات التالية:

- يتفق هذا الأسلوب مع مبدأ اطالة أمد الحرب الى أقصى حد ممكن.

- كما انه يتناسب مع فكرة تحرير الأفراد لاالأراضي

اذ ان ما يهم رجال العصابات هو ازدياد التأييد الشعبي يوما بعد يوم، ولو على حساب التراجع المكاني.

- يساعد هذا الأسلوب على حماية القوة البشرية لرجال العصابات، بينما يؤدي الى انزال أفدح الخسائر بقوات العدو.

- يمكن هذا الأسلوب رجال العصابات من تطوير حربهم من البسيط الى المركب بالتوازي مع نمو تشكيلاتهم المسلحة.

- يسمح هذا الاسلوب ببناء القوات ماديا وسياسيا أثناء القتال.

- وأخيرا، يتفق هذا الأسلوب مع فكرة الاعتماد على النفس.

رابعا: وضع القوات في مرحلة المفاوضات.

واستطرادا مع فكرة الحرب السياسية، فان رجال العصابات لايدخلون مرحلة المفاوضات الا بعد تحقيق التوازن السياسي لقواتهم، ذلك انه اذا كان المهم في الحروب التقليدية ان ندخل مرحلة المفاوضات السياسية

بقوات متوازنة ماديا، فان المهم في حرب العصابات أن يدخل رجالها المفاوضات بقوات متوازنة سياسيا.

ويقيس رجال العصايات توازنهم السياسي بما يلي:

- تحرير غالبية السكان سياسيا.

- توفر بعض التشكيلات النظامية القادرة على خوض بعض المعارك المعتوية الفاصلة، مثل معركة ديان بيان فو عام ١٩٥٤ في فيتنام الجنوبية.

- تأييد غالبية الدول لرجال العصابات في الأهداف السياسية التي يستهدفونها.

فاذا أحس رجال العصابات بتوافر هذه العناصر الثلاثة، فانهم لايترددون في دخول مرحلة المفاوضات معتمدين على توازنهم السياسي هذا لتحقيق النجاح في هذه المفاوضات.

الفرع الثاني

الاعداد لحرب العصابات

تمهيد:

تحتاج حرب العصابات الى اعداد من نوع خاص، ويرجع ذلك الى ان نقطة البدء في حرب العصابات هي مجموعة من الرجال المؤمنين بمبدأ، والذين لايملكون من أسباب القوة الا فيض هذا المبدأ على ذواتهم فقط. وهم لهذا يبدأون من الصفر للاعداد لحرب العصابات، فيقومون باعداد التشكيلات المسلحة، وتهيئة المناخ السكاني والطموغرافي للعمل، فضلا عن توفير الحد الأدنى اللازم من العتاد والمؤن والأسلحة والذخيرة.

ونتناول فيما يلي كيفية الاعداد لكل جانب من هذه الجوانب.

المبحث الأول

اعداد التشكيلات المسلحة

ويمر اعداد هذه التشكيلات بعدة مراحل، هي التجنيد، والانتقاء، والتوزيع، والتدريب.

ونشير فيما يلي الى معنى كل مرحلة من هذه المراحل:

أولا: مرحلة التجنيد

وفي هذه المرحلة تقوم المجموعة الأولى من رجال العصابات (قادة الحزب السياسي القائد) ببث دعوتها السياسية لدى أقرب الناس فكريا اليها، مستهدفة بذلك استقطابهم الى تشكيلات العاصابات. ويلي ذلك ارسال هؤلاء الأفراد المنضمين في مجموعات صغيرة الى المناطق المجاورة لحث السكان على التطوع في حرب العصابات معتمدين في ذلك على استغلال بعض

الاعتبارات لاذكاء الروح التطوعية بين السكان. ومن أمثلة هذه الاعتبارات الاعتبار القومي في حالة ما اذا كانت الحرب ستنشب ضد عدو محتل أو آخذ في الاحتلال، واعتبار الظلم الاجتماعي وفساد جهة الادارة اذا كانت الحرب ستنشب ضد حكومة ظالمة أو غاشمة.

والمتأمل، يرى في سلوك العصابات على النحو السابق نوعا من أنواع التآمر، ويعترف رجال العصابات بذلك، ويبررون مسلكهم بالاحتكام الى الشعب ليقول كلمته في اسباغ الشرعية على عقيدتهم السياسية، وباعتبار ان شرعية الثورات في نجاحها وقبولها من الشعب.

ثانيا: مرحلة الانتقاء والتوزيع

وفي هذه المرحلة يتم اجراء الاختبارات اللازمة لفرز المتطوعين على أسس موضوعية، ثم توزيعهم توزيعا مناسبا لامكانياتهم الفكرية والجثمانية والنفسية. ولامجال في هذه المرحلة للوساطات أو العوامل الشخصية، فرجل العصابات المتطوع لايعمل الا في ظل الرضا التام والشعور بالاقتناع.

وتتسم توزيعات العصابات بالبساطة، فهي لاتزيد عن درجتين (قائد عسكري وقائد سياسي+ مجموعة رجال في الوحدات الأولية، أو مجموعة وحدات أولية في الوحدات المركبة).

ثالثا: مرحلة التدريب

ونبدأ هذه المرحلة فور نهاية المرحلة السابقة، ولاشك ان مرحلة التدريب تعد من أصعب وأخطر مراحل الاعداد لحرب العصابات. فأما انها أصعب، فذلك يرجع الى افتقار العصابات التقليدي للمدربين المهرة، وأما انها أخطر فذلك يرجع الى صعوبة اجراء التدريبات العسكرية أو حتى شبه العسكرية دون أن يحس بها العدو النظامي ويسرع باجتثاثها والعصابات لم تزل بعد هشة.

ولايتدرب رجال العصابات على نمط واحد، بل هم يتدربون وفقا للمهام المنتظرة ودور كل واحد منهم فيها، فهناك من يتدرب على القتال والعنف، وهناك من يتدرب على الاغتيال والتخريب، وهناك من يتدرب على معاونة القوات النظامية الصديقة اذا كان منتظرا

اشتراكها في الحرب. وأخيرا فهناك من يتدرب على أعمال الاعاشة والشئون الادارية وتوصيل المعلومات والأوامر.

المبحث الثاني

تهيئة المناخ السكاني والطبوغرافي

أولا: تهيئة المناخ السكاني

ويقصد بتهيئة المناخ السكاني هنا. تعويد القطاع العريض من السكان المحليين على التعاطف مع رجال العصابات، سواء بأدنى درجات التعاطف، وهي عدم الابلاغ عنهم، أو بأعلى هذه الدرجات وهي تموينهم، واخفاؤهم، وتضليل القوات المعادية عنهم.

ويتم تعويد السكان على هذا التعاطف، اولا بالعمل السياسي النشط، وثانيا بالحرص التام على السلوك المثالي في التعامل مع هؤلاء السكان، وثالثا بانزال العقاب الصارم بالخونة من هؤلاء السكان.

ثانيا: الاعداد الطبوغرافي

ولايعتمد رجال العصابات كثيرا في هذا المجال على الخرائط أو أساليب الاستطلاع والمساحة التي لاقبل لهم بامكانياتها، وانما يعتمدون على استكفاء بعض الرجال الذين يحفظون الطرق والدروب والمسافات عن ظهر قلب. كما يعتمدون في تقدير المسافات قبل وأثناء الاشتباكات على أسلوب التقدير بالنظر..

وبالطبع فان رجال العصابات لايمانعون اذا ما توافرت لهم أساليب أكثر دقة من ذلك.

المبحث الثالث

توفير القدر الأولى اللازم للاعاشة والقتال

وفي هذا المجال يعتمد رجال العصابات على وسائل عدة، أهمها تخزين بعض المؤ ن والمعدات والأسلحة في مخازن صغيرة لايعرفها الا نفر قليل، ومسلحة بالاخفاء

والتمويه اللازمين، فضلا عن تهيئتها لحماية المخزون من التلف والفساد.

وينتهج رجال العصابات أسلوب التقتير التام في الاستهلاك من هذا المخزون، خصوصا في المراحل الأولية، اذ لاشك ان وقتا سيمر قبل أن تعمل القنوات المحلية والخارجية على تعويضهم بالمؤن والعتاد والسلاح.



فصل خاص

في الحرب النووية

تمهيد

يرى بعض المحللين ان الحرب النووية لاتعد حربا بالمعنى الفلسفي للحرب، ويصدرون في ذلك عن ان الحرب عمل منظم بطبيعته، بينما الحرب النووية ليست الا نوعا من الفوضى ليس الا.

ولعل مما يؤيد هذا الرأي، ان الاساس الفكري لاستخدام الأسلحة النووية الشاملة - فيما لو استخدمت - لن يكون الا الجنون في حالة الهجوم، او التشفي والانتقام في حالة الرد بالهجوم المضاد. اذ لايعقل أن يكون استخدام مثل هذه الأسلحة نوعا من السياسة بوسائل أخرى!!..

ولايخل بهذا الرأي ظهور الأسلحة النووية التكتيكية، اذ ما زلنا ننظر بعين الشك والريبة الى امكانية استخدام هذه الأسلحة بأسلوب العمليات التقليدية (هجوم ويلحق به المعارك التصادمية والمطاردة

والتعزيز، ودفاع ويلحق به القتال داخل الحصار والقتال بقصد التخلص والارتداد لاعادة التجميع)، وقنبلتا هيروشيما ونجازاكي أصدق شاهد على ما نقول.

كما لايثنينا عن تأييد هذا الرأي، ما تعارفت عليه الجيوش الحديثة من تدريب قواتها على أساليب الوقاية من الأسلحة النووية، اذ غاية ما نسلم به مع هذه الأدلة المناهضة هو اعتبار الحرب النووية - خصوصا في صورتها الشاملة - نوعا من الحرب التهديدية ليس الا.

ولعل تأييدنا لمن ينكرون على الصدام النووي صفة الحرب، هو الذي دفعنا الى دراسة هذه الحرب - اذا جاز تسميتها حربا - في فصل خاص نكتفي فيه بالاشارة الى المبدأين اللذين يحكمان هذه الحرب، ألا وهما المصدقية، والقدرة على توجيه الضربة الثانية.

ونتناول فيما يلي كلا من هذين المبدأين:

أولا: مبدأ القابلية للتصديق

وأساس هذا المبدأ ما ذكرناه من ان الحرب النوويه ليست الا حربا تهديدية تخاض بالتهديد الجدي

لابالتنفيذ الفعلي. ولهذا فلا يتصور أن تحسم هذه الحرب الا بأسلوب واحد هو اقناع العدو - ليس فقط بامتلاكنا للمتفجرات النووية - وانما كذلك بامتلاكنا للوسائط اللازمة لنقل هذه المتفجرات الى الأهداف المختارة، ولن يتحقق هذا الاقتناع لدى العدو الا اذا كانت الشواهد كلها تدل على صدق ما نهدد به. فعند هذا القدر من التصديق تحسم الحرب، وتؤتى ثمارها المرجوة، بالرغم من انها ستبقى في اطارها المرجو لها ألا وهو اطار اللاتنفيذ.

ثانيا: مبدأ القدرة على الضربة التالية

واذا اعتبرنا ان المبدأ الأول « القابلية للتصديق » هو أساس الهجوم في الحرب النووية، فان هذا المبدأ « اعتقاد العدو بقدرتنا على توجيه الضربة التالية » هو أساس الدفاع في هذه الحرب.

فالمبدأ المكافىء للمبدأ الأول، يتحقق باحساس العدو بقدرتنا على رد ضربته بضربة مماثلة في القوة ومضادة في الاتجاه. فعند هذا القدر من القناعة يتحقق

التوازن المطلوب للرعب النووي لدى الطرفين، وتخرج بالتالي الوسائل النووية من حلبة التأثير في الصراع السياسي بينهما.

خاتمة

وبعد.. فقد كانت تلك رسالتنا عن المدخل للثقافة العسكرية، وقد توخينا فيها التأصيل مادام مفيدا، والايجاز مادام كافيا. كما كان حسبنا من هذه الرسالة ان نحيط احاطة ثقافية بالقواعد الأصولية للحروب وكيفية الاعداد لها، ولهذا فقد راعينا في هذه الاحاطة الثقافية اجتناب التفصيلات الفنية الا بالقدر الذي نحتاجه لشرح قاعدة أصولية، بل لقد استبعدنا ـ أحيانا ـ بعض النظريات الأساسية ما دامت ستجرنا الى تفصيلات تزيد عن حاجة هذه الدراسة كثيرا، وكان من هذا الذي استبعدناه ما يلي:

١ ـ نظريات الأمن، وقد استبعدناها عند الحديث عن الحرب التقليدية، نظرا لتعدد هذه النظريات

واحتياجها لدراسة خاصة مستقلة توضح النظريات المختلفة للأمن من مثل: نظرية الضمانات الدولية، نظرية الاعتماد على الحلفاء الأقوياء، نظرية الحدود الآمنة، نظرية القوة الرادعة.

٢ ـ الاستراتيجيات المختلفة للعمليات الفعلية من مثل: استراتيجة المناورة المباشرة، والتي تعتمد على البدء بالتمهيد النيراني المدمر، ثم التقدم لاكتساح الدفاعات مع التوقف بعد اقامة رؤوس الكبارى، وبعد كل استيلاء على خط دفاعي لتأمين الأوضاع، وصد وتدمير الضربات المضادة في مناطق قتل محددة سلفا، ثم تطوير الهجوم لمرحلة تالية، وهكذا.

ويقابل هذه الاستراتيجية استراتيجية الاقتراب غير المباشر التي تعتمد على اختراق قطاعات محدودة بثلاثي (الطائرة ـ الدبابة ـ المشاة الميكانيكية)، وتطوير هذا الخرق في العمق التعبوي بقطع خطوط المواصلات، وبث الاضطراب في القيادات الخلفية، ومراكز الشئو الادارية.

والى جوار هاتين الاستراتيجيتين هناك استراتيجيه

السلاح الحاسم، والتي تعتمد على سلاح معين بصفة اساسية في حسم المعركة، وقد كان هذا السلاح الحاسم في أول الأمر هو السلاح البحري، ثم حل محله فيما بعد السلاح الجوي، وبالاعتماد على هذا السلاح يتم دفع الخطوط الجوية دائما للأمام، ثم تتولى هذه الخطوط بدورها التمهيد لاستيلاء القوات الأخرى على الخطوط التالية، ثم تبدأ عملية دفع جديدة للخط الجوي، وهكذا.

٣ - ومن ناحية اخرى فقد استبعدنا بعض التفريعات الفنية، من مثل عناصر الصدم والسيطرة والشئون الفنية في التكتيك، ومن مثل كيفية التجهيز الفني لمسرح العمليات سواء في جانبه الايجابي المتمثل في تجهيز المسرح لخدمة قواتنا، أو في جانبه السلبي المتمثل في اعداد الوسائل الكفيلة بالحيلولة دون استفادة العدو من تجهيزاته لمسرح العمليات، ومن مثل الوسائل الديناميكية التفصيلية لادارة الحرب في حرب العصابات ومن مثل أنواع الأسلحة النووية وأنواع الوسائط الحاملة لها سواء في الهجوم أو في الشبكات المضادة.

وقد كان أساس استبعادنا لهذه التفريعات الفنية هو احتياجها لدراسة تفصيلية تجاوز الغرض المنشود، فضلا عن انها تفوق طاقتنا في الوقت الحاضر، وان كان أملنا كبيرا في العودة لهذه التفريعات بدراسة تفصيلية ان لم يكفنا غيرنا مشقة الكتابة فيها بالطبع.

وبقيت كلمة أخيرة.. اننا مطالبون بالأخذ بكل أسباب القوة، ولكننا مطالبون كذلك بأن نستيقن بأن النصر من عند الله.

أقول ذلك مهما ظن الدهريون أنهم قادرون على ما يريدون.

﴿ وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله ﴾

صدق الله العظيم

الزخرف/ ٨٤

الفهرس



المركز العربي
للثقافة والعلوم

طباعة . نشر . توزيع